علامة الشام

عبد القادر بن بدران الدمشقي

حياته وآثاره

بقلم

محمد بن ناصر العجمي

دار البشائر الإسلامية

علامة الشام

عبد القادر بن بدران الدمشقي

حياته وآثاره

الطّبعَة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

دار البشائر الإسلاميّة
للطبَاعَة وَالنشر وَالتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب ٥٩٥٥ - ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الباقي وما سواه فان، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له الواحد الديّان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير ولد عدنان صلىٰ الله عليه وعلى آله وصحبه أولي الفضل والعرفان.

أما بعد:

فهذه ترجمة محررة، وحلية محبرة تكشف عن حال العلاَّمة المتفنن الأُصولي الشيخ عبد القادر بن بدران الدِّمشقي أحد علماء القرن الرابع عشر الهجري الذين تركوا آثاراً تدل عليهم، فقد كان من العلماء الأجلاء الذين أخذوا من العلم بحظ وافر وفضل سافر؛ إلاَّ أنَّه ــ رحمه الله تعالى ــ قد أُوذي من أبناء زمانه ولم يعرفوا قدره ومكانته؛ ولكنه صمد أمامهم صمود الجبل الشامخ، ورماهم برماح العلم والحجة والبرهان، فبقي علمه وذاع صيته وفضله، وتقدم على أقرانه وأبناء زمانه، ولم يضره كثرة حُسّاده وأعدائه، وقد ألّف المؤلفات النافعة في الحديث والفقه وأصوله والتاريخ إلى غير ذلك من الفنون الأُخرى في علوم شتى.

وقد كنت تشرفت بترجمته في مقدمة تحقيقي لكتاب «أخصر

المختصرات» لابن بلْبان مع حاشيته عليه؛ إلاَّ أن جماعة من أهل العلم والفضل أشاروا عليَّ أن أُفردها، وقد استجبت لهذه الوجهة الوجيهة؛ وذلك لأني وقفت على بعض الزيادات النافعة مما يصلح أن تفرد هذه الترجمة على حدة.

ولا يفوتني شكر الناشر الأمين الشيخ رمزي دمشقية صاحب دار البشائر الإسلامية لعنايته بكتب التراث الإسلامي فشكر الله مسعاه وأناله رضاه.

وأسأل الله أن ينفع بهذه الترجمة كما نفع بأصلها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله على الصفوة من خلقه وآله وصحبه وسلَّم.

محمد بن ناصر العجمي

الكويت ــ الجهراء المحروسة ــ
٢٥/١/١٤١٧هـ= ١٣/٦/١٩٩٦م

ترجمة العلامة عبد القادر بن بدران

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلَّامَةُ المُحَقِّقُ المُفَسِّرُ المُحَدِّثُ الأُصولي المُتَبَحِّرُ المُتَفَنِّنُ الشَّيْخُ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد المشهور كأَسلافه بابن بَدْران[1]، السَّعْدِيُّ[2]

(١) ذكر الأستاذ الباحث معروف زريق في كتابه «تاريخ دومة» ص ١٧٢ أنها عائلة حجازية من قبيلة بني سعد، ينتسب أفرادها إلى جدهم الكبير (بدران السَّعْدي) وأقدم أعلامها في دومة محمد بن محمد بدران، وهي أُسرة كبيرة.

(٢) صرح ابن بدران ــ رحمه الله ــ غير مرة بنسبته إلى بني سعد فقال في «تهذيب تاريخ دمشق» (١/٦): «... المشهور كأَسْلاَفِهِ بابن بدران المنتمي أصله ونجاره لبني سعد جيران الصفا...» وقال أيضاً في «تهذيبه» (٣/٦): «... المشهور كأسلافِهِ بابن بدران السَّعْدي مَحْتِداً وقبيلةً مِمَّن مضغوا الشيح والقيصوم، ونوَّه سيد الوجود بمدحهم بقوله: أدبني ربي فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد...».

والسعدي نسبة إلى جدهم سَعْد بن بكر بن هوازن، من عدنان، وقد امتاز بنوه بالفصاحة، وفيهم نشأ النبيّ ﷺ في طفولته.

انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٢٦٥، ٤٨١، و «ثمار القلوب» للثعالبي ص ٢٨.

الحجـازي الأصـل[1] الـدُّومـيُّ، الـدِّمَشْقِـيُّ، الحَنْبَلِـيُّ، الأَثَـرِيُّ، السَّلَفِيُّ[2].

مولـده ونشأتـه:

ولد العلاَّمة ابن بدران في بلدته دوما سنة ١٢٨٠هـ[3]، وتعلم مبادىء القراءة والكتابة على يد الشيخ عدنان بن محمد عدس وذلك في الكتّاب الذي كان يوجد آنذاك في جامع المَسْيَد في دوما[4]، ونشأ في بلدته إلى أن أُخرج منها نحو سنة ١٣١٨هـ كما صَرَّح بذلك في كتابه: «موارد الأفهام» حيث يقول: «ولقد كنت ابتدأت هذا الشرح في عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، فوصلت فيه إلى باب التشهد في الصلاة، ثُمَّ تلاعب بـي الزمان، وهجرت الأوطان والخلان، إلى أن أنخت

---

(١) ذكر ابن بدران هذه النسبة على طرة ديوانه «تسلية اللبيب»، والدومي نسبة إلى بلدة دومة أو دوما تبعد عن دمشق ثلاثة عشر كيلاً إلى جهة الشرق، وأهل بلدة دومة حنابلة كما صرح به غير واحد، منهم محمد كردعلي في كتابه «غوطة دمشق» ص ٣٥.

(٢) النسبة إلى الأثري السَّلفي، ذكرها عن نفسه في كتابه «العقود الياقوتية» ص ٢٠٤.

(٣) ذكر ابن بدران في «تسلية اللبيب» (٢٧/ ب) أن والده أخبره بسنة ولادته هذه، وذكر الأستاذ أدهم آل جندي في «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٤) أن ولادته كانت سنة ١٨٤٨م أي نحو سنة ١٢٦٤هـ، والعمدة على ما ذكره ابن بدران عن نفسه.

(٤) «شعراء من دوما» لمعروف زريق ص ٩٨.

ركابـي بدمشق. . .»[1].

طلبـه للعلم ومشايخـه:

تلقى ابن بدران العلم عن جَدِّه الشيخ مصطفى[2]، كما أخذ عن شيخه العلاَّمةِ محمد بن عثمان الحَنْبَلِيّ المشهور بخطيب دوما[3]، وقد تأثر بشيخه واستفاد منه طريقة حميدة حيث يقول نقلاً عن شيخه هذا: «وكان رحمه الله يقول لنا: لا ينبغي لمن يقرأ كتاباً أن يتصور أنه يريدُ

---

(١) نهاية المجلد الأول من «موارد الأفهام» كما في وصف مخطوطات ابن بدران في مكتبة شامل الشاهين الخاصة، كما أنني لم أقف على معلومات عن نشأته في بلدته دومة.

(٢) لم أقف له بعد البحث في مظانه على ترجمة لجده هذا، وكان كذلك جدُّه من جهة والدته عالماً جليلاً، وهو الشيخ أحمد بن مصطفى بن حسين رمضان الشهير بابن النعسان توفي سنة ١٢٨١هـ وقد أشار إلى جده هذا في كتابه «البدرانية شرح المنظومة الفارضية» ص ٣ ومقدمته «لأخصر المختصرات» ص ٧٦.

(٣) هو العلاَّمة الشيخ محمد بن عثمان بن عباس بن محمد بن عثمان الحَنْبَلِيّ الشهير بخطيب دوما أخذ عن أجلة من علماء عصره، كان نادرة وقته، تخرج على يديه طلاب كثيرون، ثُمَّ استقر في بلدته دوما وولي الخطابة في جامعها الكبير، ثُمَّ حصل له فتنة فيها، فرحل إلى دمشق واستوطنها، وفي سنة ١٣٠٥ سافر إلى الحج، وزار المدينة النبوية فاستقر بها، وولي تدريس الحنابلة فيها ورحل الطلاب إليه، وتوفي فيها سنة ١٣٠٨هـ، انظر ترجمته في: «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي ص ١٦٩، و «منتخبات التواريخ لدمشق» للحصني (٢/ ٧٦٦).

قراءته مرة ثانية؛ لأن هذا التصور يمنعه عن فهم جميع الكتاب، بل يتصور أنه لا يعودُ إليه مرة ثانية أبداً.

وكان يقول: كل كتاب يشتمل على مسائل ما دُونه وزيادة، فحقِّق مسائلَ ما دُونه لتوفّر جدّك على فهم الزيادة»[1] انتهى.

وقد رحل العلامة ابن بدران في طلب العلم بعد أخذه عن مشايخه في بلدته دوما فهو يقول رحمه الله تعالى: «هذا ولما كان الأمر كما قُرِّرَ وخُلِّدَ في بطون الدفاتر وسُطِّرَ، وكانت الرِّحلة في طلب العلم عَلاَمة النُّبل ودليل الحلم، لا جَرَم هجرت الأوطان وواصلت دمشق وغيرها من البلدان...»[2]. وقد أخذ في دمشق عن شيخ الشام، ورئيس علمائها الشيخ سليم بن ياسين العَطّار، الشّافعيِّ[3]، وقد أجازه بالحديث إجازة عامة وذلك في رمضان سنة ١٣٠٦هـ[4].

---

(١) «المدخل» لابن بدران ص ٤٨٨.

(٢) «تسلية اللبيب» له (٢/ب).

(٣) هو الشيخ المسند سليم بن ياسين بن الشيخ حامد العطار، قرأ على علماء كثيرين، وأجازه كثير من علماء الأقطار منهم محمود الآلوسي، ومن طلابه العلاَّمة جمال الدِّين القاسمي حيث قال عنه: «... شيخنا مسند الشام، وعمدة فضلائها الأعلام، الشيخ سليم...» انظر: كتاب «جمال الدِّين القاسمي» ص ٢٥، وقد توفي الشيخ سليم سنة ١٣٠٧هـ، وانظر ترجمته في: «حلية البشر» لعبد الرزاق البيطار (٢/ ٦٨٠)، و «أعيان دمشق» للشطي ص ٣٣٨، ٣٣٩.

(٤) ذكر ابن بدران في مقدمة «موارد الأفهام» أنه أخذ الإجازة العامة عن شيخه سليم العطار رحمه الله تعالى.

قال ابن بدران: «وقلت لما ختم شيخنا ـ أي سليم العطار ـ «صحيح البخاري» وبقية دروسنا حين جاء شهر رمضان ودعانا لبيته العامر:

طِيبِي ثَنَاءً يا دِمَشْقُ وغَرِّدِي ... فَلَكَ المَنَازِلُ فَوْقَ هَامِ الفَرْقَدِ
واشْدِي عَلَى أَغصَانِ دَوْحَاتِ الهَنَا ... واتْلِي المَحامِدَ في الصَّبَاحِ وَرَدِّدِي
فَلَقَدْ حَوَيْتِ الْيَوْمَ شَهْماً قَدْ سَمَا ... عِنْدَ الْمَفَاخِرِ كُلَّ شَهْمٍ أَوْحَدِ
تَتَقَاسَمُ الأَقْطَار طِيبَ ثَنَائِهِ ... فَتَعودُ فِي سَعَةِ المَلِيكِ الأَمْجَدِ
مَوْلَى الفَضَائِلِ شَيْخُ أَهْلِ الحَقِّ مَنْ ... كُلُّ الأَنَامِ لِمَجْدِهِ كالأَعْبُدِ
بَحْرُ العلومِ سَلِيمُ طَبْعٍ ما لَهُ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْ نَظِيرٍ مُرْشِدِ
بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ والعِلْمِ الذي ... بَهَرَ العُقُولَ أَنَارَ نَهْجَ المُهْتَدِي
طُوبَى لَنَا هُوَ شَيْخُنَا بُشْرَى لَنَا ... فَلَقَدْ وَرَدْنا صَفْوَ عَذْبِ المَوْرِدِ
يا سَيِّداً بَهَرَ الأَنَامَ بِفَضْلِهِ ... أَنْتَ الإمامُ لِكُلِّ شَهْمٍ مُقْتَدِي
فَاسْلَمْ وَدُمْ ما غَنَّتِ الوَرْقَا على ... دَوْحِ الرِّيَاضِ وَجَادَهَا الطَّلُّ النَّدِي(١)

وأخذ عن العلاَّمة محمد بن مصطفى الطنطاوي الأزهري(٢)،

---

(١) «تسلية اللبيب» (٤/ب).

(٢) هو الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي الشَّافعي، الأزهري، حَصَّلَ علوماً عقلية ونقلية في بلده مصر، ثُمَّ قدم دمشق وتلقى على علمائها، وأخذ الطريقة النقشبندية ثُمَّ عاد إلى بلده، وأتقن علوماً كثيرة؛ لكنه برع براعة عجيبة في الهيئة والحساب والميقات، وصار بينه وبين الأمير عبد القادر الجزائري علاقة جيدة، وطلب منه الأمير المذكور أن يسافر إلى مدينة قونية لمقابلة «الفتوحات المكية» لابن عربي فقابلها له، ومنه يعلم مشربه هو والأمير الجزائري، توفي =

نزيل دمشق، وقد كان بارعاً في علم الهيئة والحساب والميقات، فأخذ عنه هذه العلوم، كما أنه أخذ عن الشيخ علاء الدِّين عابدين الحنفي[1]، وأخذ عن مفتي الحنابلة الشيخ أحمد بن حسن الشطي[2]، وكذلك الشيخ محمد بن ياسين العطار[3].

= سنة ١٣٠٦هـ، انظر ترجمته في: «حلية البشر» (٣/ ١٢٨٤ ـ ١٢٨٨)، و «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر» (١/ ٧٣ ـ ٧٧).

(١) هو الشيخ علاء الدِّين بن محمد أمين بن عمر عابدين، الحنفي، الخلوتي، أخذ عن كبار علماء دمشق ومصر والحجاز، وقد كان صوفي المشرب والطريقة، توفي سنة ١٣٠٦هـ. انظر ترجمته في: «حلية البشر» (٣/ ١٣٣٥ ـ ١٣٣٧)، و «أعيان دمشق» ص ٣٣٠، ٣٣١.

(تنبيه): هؤلاء المشايخ لابن بدران الذين ورد ذكرهم في بعض المصادر المترجِمَةِ له، وأما البقية فإنها حصلت بالتتبع لمصنفاته ولمصادر أُخرى.

(٢) ذكر العلاَّمة ابن دحيان أن الشيخ أحمد الشطي شيخ لابن بدران، وقد أشار عليه بتأليف حاشية الروض المربع (انظر: «كتاب علاَّمة الكويت» ص ٨٤) وقد توفي الشيخ أحمد الشطي سنة ١٣٠٦هـ انظر ترجمته في: «أعيان دمشق» (ص ٣٨٥، ٣٨٦) و «حلية البشر» (٣/ ١٦٢٥).

(٣) أشار ابن بدران إلى أنه شيخ له في طرة تملُّكِهِ لكتاب «المقصد الأرشد» لابن مفلح، نسخة الظاهرية برقم (٧٨٥٠م) وقد كانت في حوزة ابن بدران.

والشيخ محمد بن ياسين العطار هو شقيق شيخ ابن بدران السابق الشيخ سليم العطار، وآل العطار من العوائل العلمية بدمشق، وقد أخذ عن أخيه الشيخ سليم وصدور من أهل العلم في زمانه، توفي سنة ١٣٠٧هـ، انظر ترجمته في: «منتخبات التواريخ» (٢/ ٧٦٨)، و «أعيان دمشق» ص ٣٤٦.

ومن مشايخه كذلك علاَّمة المعقول الصوفي الشيخ عمر العطار[(١)]، وذكر أن من شيوخه الشيخ المُحَدِّث محمد بن بدر الدِّين الحَسَني[(٢)]، وحينما كان يطلب العلم بدمشق كان يسكن في غرفة علوية في دار الحديث الأشرفية الأُولى[(٣)]، وكان ذلك قبل سنة ١٣٠٩هـ،

---

(١) «تسلية اللبيب» (٦/أ)، والعطار هو عمر بن طه بن أحمد العطار الشافعي، أخذ العلم عن علماء بلده دمشق ورحل إلى مصر، تفرّد بعلمي النحو والمنطق وعلوم أخرى، وكان صوفياً عارفاً بمصطلحاتهم، وألف فيها بعض المؤلفات، توفي سنة ١٣٠٨هـ انظر ترجمته في: «حلية البشر» (٢/ ١١٢٩)، و «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٥١).

(٢) أشار إليه في «تسلية اللبيب» (٥/ب) في كلام له حيث يقول: «... وأنا في صحبة أستاذنا الولي الصالح الشيخ بدر الدِّين بن العلاَّمة الشيخ يوسف المغربـي البيباني». وهو مُحَدِّثٌ مشهور يعتز به أهل دمشق غاية الاعتزاز، فكانوا يقولون عنه: «المُحدّث الأكبر» وهو الشيخ محمد بدر الدِّين بن يوسف بن بدر الدِّين الحَسَني المغربـي المراكشي، الدِّمشقي مولداً وسكناً، أخذ العلم في بلده دمشق، وارتحل إلى مصر، وأخذ عن الشيخ إبراهيم السقا شيخ الأزهر في وقته، وكان يضرب به المثل في الصلاح، توفي سنة ١٣٥٤هـ، وقد أفرده بالترجمة غير واحد من تلاميذه، منهم الشيخ محمود بن رشيد العطار (ت١٣٦٢هـ)، وهي مخطوطة في الظاهرية برقم (٨٥٢٢)، والشيخ صالح الفرفور في ترجمة مطبوعة بعنوان «المحدّث الأكبر وإمام العصر». وانظر: «علماء دمشق في القرن الرابع عشر» (١/ ٤٩٤).

(٣) ذكره العلامة محمد بهجة البيطار في مقدمته لـ «منادمة الأطلال» ص (ح). وقد ذكر في آخر كتابه «المنهل الصافي» أنه أنهى نسخه سنة ١٣٠٩هـ؛ وذلك في مدرسة دار الحديث الأشرفية بدمشق.

كما أنه أخذ عن شيخ الأزهر محمد بن محمد الأَنْبابـي[(١)]، وهذا يدل على أنه رحل إلى مصر.

واتصل بالأمير عبد القادر الجزائري ورافقه في رحلته إلى أوربا والمغرب ومكث فيها ستة أشهر[(٢)]، وذكر في كتابه «تسلية اللبيب» أنه زار من بلدان المغرب الجزائر وتونس[(٣)]، ومن أوربا إيطاليا وفرنسا، وقال في ذم الأخيرة[(٤)]:

أَقَمْـتُ فـي فَـرَنْسـا عِنْـدَ قَـوْمٍ ... يَمِيلُـونَ إِلـى الفِعْـلِ الخَسِيـسِ
لَهُــمْ بــالشُّــح سَبْــقٌ واْجتهــادٌ ... فَسِيَّــانَ الخَـدِيـمُ مـع الـرَّئِيـسِ
ففـي أَشغـالِهِـمْ أتعبـت نَفْســي ... ومِـنْ فَقْـرِي لَقَـدْ مَـزَّقْـتُ كِيسـي

هذا حول رحلته في طلبه للعلم والاستفادة، وقد كان في أثناء مطالعته وتكرار البحث والمراجعة وملازمة الخلوات، يروح النفس

(١) قال في «تسلية اللبيب» (٢٧/ب): «وكتبت على ظهر جزء من مؤلفات أستاذنا العلامة الشيخ محمد الأَنبابـي شيخ الأزهر ما صورته:

وكَمْ بِهَذَا العَصْرِ من شخص سما ... هام السِّماك وليس كالأَنبابـي
فَهْـوَ الجـدير بـأن يقـول السـائـل ... مَهْلاً فـإن الـدَّهـر قـد أَنْبَـا بــي

والأَنْبابـي هو الشيخ محمد بن محمد بن حسين الشافعي، ولي مشيخة الأزهر مرتين وله رسائل وحواش كثيرة، توفي سنة ١٣١٣هـ. انظر ترجمته في: «الأعلام» (٧/ ٧٥).

(٢) «تاريخ دومة» ص ١٠٤، و «مجلة الآثار» لمعلوف (٤/ ٥٣١).

(٣) «تسلية اللبيب» (٣٣/ ب).

(٤) «تسلية اللبيب» (٣٢/ ب).

ببعض الأبيات، وكان مما قال في العلم[1]:

وَقَفْتُ النَّفسَ في طَلَبِ المَعَالِي　　　وَفِي نَشْرِ العلومِ مَدَى الزَّمَانِ
أُحَــرِّرُ كُــلَّ مُعْضِلَــةٍ بِشَــوْقٍ　　　كَشَوْقِ الـوالهيـنَ إِلَى الأَغَـانِـي
وَطَبْعِـي لا يَمِيـلُ لِغَيْـرِ حَبْـرٍ　　　تَـرَبَّــى بَيْــنَ أَزْهَــارِ المَعَــانِــي
أُسَامِرُ في الدُّجَى نَدْمانَ كُتْبِي　　　فَـأَسكـرُ لا بِكَـاسَـاتِ الـدِّنَـانِ
أُحِـبُّ الكُتْـبَ وهـي اليَـوْمَ منـي　　　مَكَـانَ الـرُّوحِ مِـنْ بَـدَنِ الجبـانِ

وحينما سَمع نصيحة ــ شيخه محمد بن عثمان خطيب دوما ــ التي مرّ ذكرها[2] عَمِلَ بها حيث يقول ابن بدران عن نفسه: «ولما أخذت نصيحته مأخذ القبول لم أحْتَج في القراءة على الأساتذة العلوم والفنون إلى أكثر من ست سنين. . .».

وقال أيضاً عن عنايته بعلم أصول الفقه وغيره من العلوم المتعلقة به: «. . . وإنني كنت أيام الطلب صحبته ــ أي أصول الفقه ــ منذ البداية، ونزهت الطرف في حدائقه الغناء، ونادمته منادمة العاشق لمعشوقه، والتقطت فرائِده من أفواه الشيوخ الذين كان الزمن سمح ببقائهم، ولم يكن يومئذ أحد من الطلبة يذكر هذا الفن أو يتكلم به بشفتيه، زاعمين أنه يفتح باب الاجتهاد، وذلك الباب قد أوصد منذ قرون متطاولة، حتَّى كنت أسمع من كثير ممن يدعي العلم يقول: ما ضر الأمة إلَّا فن الأُصول؛ لأنه يعلم الناظر فيه الأخذ بالدليل، فكنت

---

(١) المصدر السابق (٢/ ب، ٨/ ب).
(٢) ص ٩.

لا أعبأ بالواشي، ولا أميل إلى اللاحي، مهما كانت رتبته، فشرعت بقراءة «شرح الورقات» و «شرح شرحها» للعبادي، و «حصول المأمول من فن الأصول»؛ ثُمَّ بـ «شرح جمع الجوامع»، للمحلي مع مطالعة حواشيه، و «شرحه للعراقي»، وبـ «شرح المنهاج» للبيضاوي، وبـ «شرح العضد على مختصر ابن الحاجب»، وبمطالعة شرحه وبـ «التوضيح شرح التنقيح»، وحاشيته «التلويح»، وبـ «شرح المرآة» مع مطالعة حواشيها، هذا مع ما كنت أشتغل به من الفنون التي هي مواد هذا الفن، ولا يخفى مكانها ومواد الكتاب والسنَّة.

وإني بحمد الله تعالى لم أقرأ على الشيوخ إلا مدة لا تزيد عن خمس سنين، مع الإشراف على فنون المعقول، ومنها الهيئة، وفن المواقيت وغير ذلك، ولا أذكر ذلك تبجحاً وافتخاراً، وإنما أذكره شكراً لله على ما أنعم، وفتح عليَّ به، فله الحمد حمداً يدوم على الدوام...»[1].

ويقول محمد بن سعيد الحَنْبَلِيّ العماني: «ثُمَّ بعد تلك المدة ـ أي الست سنوات ـ عَكَفَ على المطالَعَةِ لِنَفْسِهِ حتَّى برع في الكتاب والسُّنَّة، والأصلين والمَذْهَب، ومعرفة الخلاف، وسائر العلوم العقلية والأدبية والرِّياضية...»[2].

---

(١) «نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر» لابن بدران (٢/ ٤٧٣) وقد أشار إلى الطريقة التي كان يستعملها في قراءة المتون وشرحها في كتابه «المدخل» ص ٤٨٩، ٤٩٠.

(٢) نبذة من ترجمة ابن بدران في آخر كتابه «المدخل» ص (أ). ط المنيرية.

وقد قرأ على بعض من لا يحسن العلم فانتقد طريقته ومنهجه في التدريس فقال: «ولقد كنت في بدء أمري أقرأ كتاب «دليل الطالب» على بعض من يدعي التدريس، فمررنا بمسألة عدم نقض الوضوء بمسّ الفرج البائن فقلنا له: ما هو الفرج البائن؟ فقال: هو ما بين أصل الذكر وحلقة الدبر. ولم يعلم أنه المقطوع. وكان بعض أترابي يقرأ عليه في باب العتق فقال له: ما معنى العبد المدبَّر يا سيدي؟ فقال له الشيخ: هو من سيده وطئه في دبره! ومع هذا فقد كان مصدراً للإفتاء في بلده. وأيضاً حضرت في ابتداء شرح «الإقناع» على رجل كان يشار إليه بالبنان في مذهب أحمد، وكان ولده يقرأ معنا، فكانت المسألة تأتي فيخترع ولده قاعدة عامية ويحاول أن يبني المسألة عليها، فيسلمها له والده ويصعب عليه تطبيق المسألة عليها، فيكثر الشغب والجدال بينهما، وكلاهما لا خبرة له بفن الأصول، فأقول للشيخ: لينظر مولانا أولاً في القاعدة هل هي من الأصول أم هي مأخوذة عن عجائز أهله ويريحنا من هذا العناء...»[1].

عقيدته ومذهبه:

عاش العلاَّمة ابن بدران في بيئة كانت فيها الصوفية منتشرة، والجهل فيها متفش، وقد قرأ على بعض الشيوخ الذين كان مسلكهم صوفياً كما مرَّ في ذكر شيوخه، وقد صَرَّح بفضل الله عليه وأنه اتبع منهج السَّلف الذي هو أَحكم وأعلم، وهو طريقة القرون المفضلة، ومنهاج الأئمة المصلحين.

(١) «العقود الياقوتية في جِيد الأسئلة الكويتية» ص ١٣٥.

يقول ابن بدران ذاكراً فضل الله عليه في السَّيرِ على هذا النهج السَّوي والطريق الأثري: «. . . إنني لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عليَّ بطلبِ العلم، هَجَرْتُ له الوطنَ والوَسَن، وكنتُ أبكِّرُ فيه بكورَ الغراب، وأطوِّف المعاهد لتحصيلِهِ، وأذهَبُ فيه كلَّ مَذْهب، وأتَّبِعُ فيه كلَّ شعب ولو كان عَسِراً، أُشْرِفُ على كلِّ يفاع، وأتأمَّلُ كُلَّ غَوْرٍ، فتارة أطوِّحُ بنفسي فيما سلكه ابنُ سينا في «الشفا» و «الإشارات» وتارة أتلقفُ ما سبكه أبو نصر الفارابي من صناعة المنطق وتلك العبارات، وتارةً أجولُ في مواقف «المقاصد» و «المواقف»، وأحياناً أطلبُ «الهدايةَ» ظناً مني أنها تَهْدِي إلى رشد، فأَضُمُّ إليها ما سَلَكه ابنُ رشد، ثم أُرَدِّدُ في الطبيعيّ والإلهي نظراً، وفي تشريح الأفلاك أتطلب خُبْراً أو خَبَراً، ثُمَّ أجولُ في ميادين العلوم مدةً كعددِ السبع البَقَرات العِجاف، فارتد إليَّ الطرفُ خاسئاً وهو حسير، ولم أحصل مِن معرفة الله جلّ جلاله إلا على أوهام وخطرات، ووساوس وإشكال، نشأ مِن البحث والتدقيق، فأَدفعُهُ بما أُقْنِعُ نفسي بنفسي، فلما هِمْتُ في تلك البَيْداء التي هي على حد قول أبـي الطَّيِّب:

يَتَلَوَّنُ الخِرِّيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوى فِيهَا كَمَا تتَلَوَّنُ الحِرْبَاءُ

ناداني منادي الهدى الحقيقي: هَلُمَّ إلى الشَّرَفِ والكمالِ، وَدَعْ نجاةَ ابنِ سينا الموْهومة إلى النجاة الحقيقيَّة، وما ذلك إلا بأن تكون على ما كانَ عليه السلفُ الكرام من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان، فإن الأمر ليس على ما تَتَوهَّم، وحقيقةُ الرَّبِّ لا يمكن أن يُدركها المربوبُ، وما السلامةُ إلَّا بالتَّسْلِيم، وكتاب الله حق، وليس بعد الحق إلا الضلال.

فهُنَالِكَ هَدَأَ رَوْعي، وجَعَلتُ عقيدتي كِتاب الله، أَكِلُ علم صفاتِهِ إليه بلا تجسيم ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل، وانجلى ما كان على قلبـي من رَيْن أورثته قواعدُ أرسطوطاليس، وقلتُ: ما كان إلاَّ من النَّظَرَ في تلك الوساوِس والبدع والدَّسائِس، فمن أين لِعُبَّاد الكواكب أن يُرشِدونا إلى الصِّراط المستَقِيم وما كانوا مهتدين؟! ومن أين لأَصحاب المقالات أن يعلموا حقيقةَ قيُّوم الأرض والسماوات؟ ولو كانت حقيقة صفات الله تعالى تُدرك بالعقول، لوصل أصحاب رسائل «إخوان الصفا» إلى الصَّفا، ولوَصَل صاحبُ «النَّجاة» و«الشفا» إلى النجاة وغليلُ لبِّه شفا، ولكن ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وأين هم من قوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّة الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين المهدِيِّين مِن بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم ومُحدَثاتِ الأُمور؛ فإن كل مُحدثة بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»؟ لَكِنْ من اتبع هواهُ هامَ في كل وادٍ، ولم يُبالِ بأي شعب سلك، ولا بأي طريق هلك...»[1].

هذا نقل من كتاب ابن بدران يبين لنا حقيقة معتقده السليم، وما كان عليه من قبل، وقد قرر عقيدته في أكثر من موضع من كتبه، فمن ذلك أيضاً ما قاله في معرض كلام له حول شرط واقف المدرسة الرواحية بدمشق حيث قال: «قال الحافظ الذَّهبي: إنّ واقفَ الرواحية اشترط على من يقيم بها من الفقهاء والمدرسين شروطاً صعبة، لا يمكن القيام ببعضها. ولم يبين الذَّهبي تلك الشروط. ثم قال: وشرط أن

(١) «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» ص ٤٢، ٤٣.

لا يدخل مدرسته يهودي، ولا نصراني، ولا حَنْبليّ حشوي. انتهى.

فاشتراطه عدم دخول اليهود والنصارى إلى مدرسته علة مفهومة، وأما اشتراطه عدم دخول حنبلي حشوي، فليس بمفهوم؛ لأن الحنابلة لا يتصفون بهذه الصفة، وهذا من التعصب الناشىء عن الجهل، والسعي في تفريق اجتماع هذه الأمة المحمدية. ويمكن أن يكون أراد بالحشوية الذين يقرؤون آيات الصفات، ويقولون: نمرُّها كما جاءت، ونكل تفسيرها إلى الله تعالى من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل. فالاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] استواء يليق بذاته تعالى لا نعلم حقيقته، لأنا إذا فسرناه بقولنا: استولى؛ نكون أخطأنا؛ لأن من استولى على شيء، لا بد وأن يكون خارجاً عن يده قبل استيلائه عليه، كما يشير إليه قول الشاعر:

قد استولى بِشْرٌ على العراقِ ... مـن غيـر سيـفٍ أو دمٍ مهْـراقِ

ومعناه أن بشراً استولى على العراق، واستخلصها من يد غيره، بدون سلّ سيف، أو إراقة دم. وتعالى الله عن أن يكون استولى على ملكه بهذه الصفة؛ ومثله يقال في السميع والبصير وأشباههما: أن الله أثبت لنفسه صفة السمع والبصر والكلام، وأخبرنا في كتابه العزيز بأنه متصف بذلك، ولكننا لا نعلم حقيقة تلك الصفات. وليس يجب علينا إلا أن نؤمن بها، ونترك علمها إلى المتصف بها...»[(١)].

هذا جانب من عقيدته، وهناك جانب آخر لا يقل عنه أهمية، ألا

---

(١) «منادمة الأطلال» ص ١٠٠، ١٠١.

وهو نبذ الخرافة والبدع المنكرة من الصوفية التي تختلق الكرامات وتنقلها عن أقطابها.

فمنه قوله ـ رحمه الله تعالى ـ : «... أقول: إن نقل الكرامات أصبح أمراً عسيراً لأن أصحاب الرجل يستعملون الغلوّ دائماً، والأخبار تحتمل الصدق والكذب.

وكثيراً ما أرى كرامة لرجل قد نسبها له المتأخرون، ثُمَّ أراها بعينها في ترجمة من قبله ومَن قبله.

وتارة ينقل المترجم الكرامة ولا يتفطن لمناقضتها الشرع والعقل، وأنا أضرب لك مثالاً ليتضح به المرام، وهو ما حكاه ابن خلكان وصاحب «شذرات الذهب» عن الشيخ يونس، ذلك أن ابن خلكان قال: سألت رجلاً من أصحابه عنه، فقال: كنا مسافرين والشيخ يونس معنا، فنزلنا في الطريق بين سنجار وعانة وهي مخوفة، فلم يقدر واحد منا أن ينام من شدة الخوف، ونام الشيخ يونس، فلما انتبه قلنا: كيف قدرت تنام؟ فقال: والله ما نمت حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وتدارك القُفْل، ودخلنا سالمين ببركة الشيخ يونس.

فانظر أولاً إلى المتكلم، ولو حملناه على محمل حسن وقلنا: إنه صادق، فهل يليق به أن يجعل سيدنا إسماعيل أو والده الخليل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ حارسين عنده لينام نوماً هنيئاً وهما ساهران كالأجير الذي يأخذ أُجرته، ويدافع عن مال سيده؟! وهب أن الأمر صحيح، فكيف جاز له الاتكال على غير الله سبحانه وتعالى؟! نعم! لو قال: إني قبل نومي دعوت الله تعالى، وفوّضت أمري وأمر

القافلة إليه، لكان كلامه مقبولاً! ثُمَّ ليت شعري هل ذلك الراوي صادق فيما نقله، أَو هو عدل مرضي الشهادة أم لا؟، مع أن رواة الحديث لا نصدقهم حتى تتحقق لنا عدالتهم، ونعلم صدقهم! فكيف نجيز قبول خبر واحد مجهول الحال؟! تالله ما هذا إلا هذيان، وعدم تمكن من العلم الصحيح! . . .»[١].

وقال محمد تقيّ الدِّين الحصني: «وكان سلفي العقيدة. . .» ثُمَّ قال: «قال أحد الأدباء عند كتابته عن وفاته في الصحف إنه كان خصماً شديد الخصومة لرجال الحشويين الذين ملَؤوا هذا الدِّين السهل خرافات وسخافات هو براء منها، حتَّى رموه بأنه زنديق أو أنه وهابـي، كما كانت الوهابية إثماً زمن السلطان عبد الحميد، يُرمى بها كل من آتاه الله نصيباً من الحكمة وبعد النظر. . .»[٢].

وقال المؤرخ خير الدِّين الزِركلي: «كان سلفي العقيدة. . .».

وحدثني الأديب الكبير الشيخ علي الطنطاوي ـ أجزل الله له الأجر والمثوبة ـ حينما سألته عن العلاَّمة ابن بدران فقال: «كانت الوهابية تعد تهمة خطيرة مخيفة، وكانوا يحذروننا من الاجتماع بهم، فوَقفت مرةً في حلقة ابن بدران العَالِم الحَنْبَلِيّ المعروف، وكان هناك طلاب يمرون في الأسواق؛ فرأوني في حلقة ابن بدران وقدموا فيَّ تقريراً إلى المشايخ؛ فضربت (فلقة)[٣] في رجلي».

---

(١) «منادمة الأطلال» ص ٣١٤.

(٢) «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٣).

(٣) خشبة مثقوبة الجانبين يدخل فيهما حبل ويعقد طرفاه ثُمَّ توضع رِجلا من يراد =

قلت: وسبب هذا الأمر أن ابن بدران كان على منهج السلف رحمه الله وكتب له الأجر والمثوبة.

وقد كان رحمه الله تعالى أحد محبي شيخ الإسلام ابن تيمية وعارفي قدره وفضله فإنه حينما سئل عنه قال: «أما الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية فرجل قرع باب الصفا ففتح له، فرأى هناك ما أَنساه الدنيا ولذتها، فكان شديد الوله والإنابة واتقى الله، فأطلعه على أسرار الشريعة وأمده بفهم الكتاب والسُّنة، فأخذ يبني الأحكام على حكمتها، ويبين للناس ما أُنزل إليهم من ربهم على منهاج ما كان عليه الصحابة والتابعون بإحسان، ويناهض حصون العادات السيئة والبدع فيدكها ولا يخشى في الله لومة لائم. فهب قوم قصروا عن مداه، ولم يصلوا إلى ما وصل إليه من الحكمة، فعاندوه حسداً وبغياً، وتبعهم كل محجوب رضي بالدون، ونادى على نفسه بالجهل بأحكام الشريعة وحكمتها، واستعانوا عليه بسطوة الأُمراء والحكام لقصورهم عن إفحامه في مقام المناظرة.

فَسُجِنَ وأُهين، وشمسه لم تزل في ازدياد وارتقاؤه لم يزل في مزيد، فهم من هذه الجهة كادوا يكونون معذورين لو أن في الجهل عذراً لصاحبه، ولو كان في القرن الثاني أو الثالث لما قصر عن أئمتها، ولكان له شأن مثل شأن علمائهما، فليس له عيب سوى أنه متأخر، والتأخر عيب عند كل جامد حقود حسود، ولا شك أنه بلغ رتبة

= تعذيبه، ثُمَّ تبرم الخشبة وتضرب الرِجلان بالعصا أو المقرعة. «موسوعة حلب المقارنة» للأسدي (٦/ ٩٥).

الاجتهاد المطلق فعليه رحمة الله تعالى»[1].

هذا ما قاله ابن بدران عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى.

وأمَّا مذهبه فقال محمد بن سعيد الحنبلي: «. . . وكان شافعياً، ثُمَّ تحنبل. وسبب ذلك ــ كما قاله بعض الخواص عنه ــ: كنتُ في أوَّلِ عُمري ملازماً لِمذْهب الإمام الشَّافعيِّ رحمه الله، سالكاً فيه سبيل التقليد، ثُمَّ مَنَّ الله عليَّ فحببَ إليَّ الاطلاع على كتب التفسير والحديث وشروحها، وأمهات كتب المذاهب الأربعة، وعلى مصنفات شيخ الإسْلاَم وتلميذه الحافظ ابن القيم، وعلى كتب الحنابلة، فما هو إلا أن فَتَحَ الله بَصيرَتي وهَدَاني للبحث عن الحق من غير تحزُّب لمَذْهَبٍ دون مذهب، فرأيت أن مذهب الحنابلة أشدّ تمسكاً بمنطوق الكتاب العزيز والسّنَّةِ المطهرة ومفهومها، فكنت حَنْبَلِيّاً من ذلك الوقت»[2].

وقد قام ــ رحمه الله تعالى ــ بخدمة المذهب الحَنْبَلِيّ وكتبه خدمة جليلة بتأليف ماتع ألا وهو «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل» وما من دارس لمذهب الحنابلة إلا واستفاد منه، كيف لا وقد تحدث ابن بدران في كتابه هذا عن كتب الحنابلة ومؤلفيها، ووصفها وصف العارف بها الخبير بفحواها، إلى غير ذلك من المقاصد التي أُلِّفَ من أجلها الكتاب[3] كما أنه أبدى أسفه الشديد في اضمحلال هذا

(١) «الفتاوى القازانية» له ص ٢٠٧.

(٢) نبذة من ترجمة ابن بدران في آخر «المدخل» ص (أ).

(٣) انظر ص ٤٧ من «المدخل».

المذهب من بلاده فقال: «. . . مع أنه تمضي عليَّ الشهور بل الأعوام، ولا أرىٰ أحداً يسألني عن مسألة في مذهب الإمام أحمد، لانقراض أهله في بلادنا، وتقلُّص ظله منها. . .»[1].

محبته لأهل نجد وعلاقته بهم:

إن العقيدة السَّلفية والتوحيد الخالص قد جمع بين ابن بدران وإخوانه من أهل نجد، كما أن نصرتهم لهذا المنهج ونشرهم له قد أثلج صدر ابن بدران رحمه الله، وهناك أمر آخر، ألا وهو عنايتهم بفقه الإمام أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ ونشر كتبه.

يقول ابن بدران حينما ذكر كتاب «مختصر الشرح الكبير والإنصاف» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله تعالى ــ بعد أن ذكر الشيخ وطلبه للعلم: «. . . ولما امتلأ وطابه من الآثار وعلم السُّنة، وبَرَع في مذهب أحمد، أخذ ينصر الحق، ويحارب البدع، ويقاومُ ما أدخله الجاهلون في هذا الدِّين الحنيفي والشريعة السمحاء. وأعانه قوم، وأخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص، والدعاية إليه وإخلاص الوحدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده، فحبا إلى معارضته أقوامٌ ألفوا الجمودَ على ما كان عليه الآباء، وتدرَّعوا بالكسل عن طلب الحق، وهم لا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك الوتر، وجنودُ الحقِّ تكافحهم فلا تبقي منهم ولا تذر، وما أحقهم بقول القائل:

---

(١) «المدخل» له ص ٤٢٣.

كناطِح صخرة يوماً ليُوهِنَها فَلَم يَضِرْها وأعْيا قرنَه الوعلُ

ولم يزل مثابراً على الدعوة إلى دين الله تعالى حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومئتين وألف. . .»[1].

وحينما ذكر الكتب المشهورة في المذهب الحَنْبَلِيّ وبيان طريقة بعضها قال: «. . . ولولا أملي بنفع سكان جزيرة العرب من الحنابلة لما حركت ــ فيما رأيت من الفَوائد ــ قلماً، ولا خاطبت رسماً منها ولا طللاً، ولكن إنما الأعمال بالنيات، والله مطلع على السرائر.

نعم إن كثيراً من سكان الجزيرة وخصوصاً أهل نجد ــ أكثر الله من أمثالهم ــ يبذلون الآن النفيسَ والنفيسَ بطبع كتب هذا المذهب، ويُحيون رفاة الكتب المندرسة منه، فأحببتُ مشاركتهم في هذا الأجر، وأقدمتُ على ذكر الكتب المشهورة، ليتنبه أهل الخير إليها، فيبرزونها مطبوعة طبعاً حسناً، لينتفع بها أهل هذا المذهب وغيرهم، كما هي عادتهم في عمل الخير. . .»[2].

وقال أيضاً: «فَمِن ثَمَّ تَقَلَّص ظله ــ أي مذهب الحَنابلة ــ من بلادنا السورية وخصوصاً دمشق إلَّا قليلاً، وأشرق نورُهُ في البلاد النجدية من جزيرة العرب، وهبَّ قوم كرام منهم لطبع كتبه، وأنفقوا الأموال الطائِلة لإحياء هذا المذهب لا يطلبون بذلك إلا وجه الله تعالى، ولا يقصدون إلا إحياء مذهب السلف، وما كان عليه الصحابة

(١) «المدخل» ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) «المدخل» ص ٤٢٣، ٤٢٤.

والتابعون. فجزاهم الله خيراً وأحسن إليهم»(١).

وقد ذكر أن بعض الفضلاء منهم زاروه وطلبوا منه أن يشرح «روضة الناظر» لابن قدامة فأجاب إلى طلبتهم، فقال بعد كلام له حول الأصول: «. . . إلى أن زارني جماعة من أفاضل الحنابلة النجديين وطلبوا مني أن أختار لهم كتاباً في أصول مذهب إمام الأئمة وناصر السُّنة، الإمام المبجل، والحبر المفضل، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه؛ ليشتغل به طلاب هذا الفن، فأرشدتهم إلى كتاب «روضة الناظر وجنة المناظر» لأحد الأئمة الأعلام، الفقيه الأُصولي المحقق الزاهد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل ثُمَّ الدِّمشقي الصَّالحي الحَنْبَلِيّ؛ لما هو متصف به مع اختصاره من النفع الجزيل والفوائِد الكثيرة. ثُمَّ إنهم بعد أن قَبِلوا اختياره ألحوا بأن أكتب عليه ما عساه يكشف ما يشكل من مطالبه ويذلل ما يستعصى فهمه على طالبه، فأجبت مقترحهم مستعيناً بالله تعالى، وأخذت بكتابة تعليقات عليه تقرب ما نأى من المطالب وتفتح باب تلك الروضة لكل طالب. . .»(٢).

كما أنه ــ رحمه الله تعالى ــ لما رأى اهتمامهم بالفرائض ألف كتابه «البدرانية شرح المنظومة الفارضية» وقد طبع على نفقة محمد بن عبد الله القرعاوي.

---

(١) «المدخل» ص ٤٥، وانظر كذلك مقدمته لحاشية «أخصر المختصرات» ص ٧٥.

(٢) «نزهة الخاطر العاطر بشرح روضة الناظر» (١/ ٩، ١٠).

كما أن الملك عبد العزيز بن سعود كان يثق به، ويعتمد عليه في محاربة البدع، وكان مفتي الدِّيار الحجازية في سورية[١]، وقد أمر الملك عبد العزيز بطبع شرح ابن بدران للروضة على نفقته وذلك سنة ١٣٤٢هـ.

علاقته بعالِم الكويت:

امتدت علاقة العلاَّمة ابن بدران في الجزيرة، فكان له صلة وثيقة بالعالم العلاَّمة الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان، ذاك العَالِم الجليل، فكانت بينهما مودة وصلة متينة من مراسلة علمية ومذاكرات فقهية، حتَّى وصل بها الحال إلى أن صارت في مؤلف مستقل ألفه ابن بدران جواباً على أسئلة ابن دحيان علاَّمة الكويت[٢]، كما أن بينهما رسائلَ وديةً مما حدا بالعلاَّمة ابن بدران أن يقول للشيخ عبد الله بن دحيان: «**وأرجوكم لا تقطعوا المراسلة بيننا**»[٣]، وقد وقفت على أكثر من رسالة لابن دحيان إلى ابن أخته أحمد الخميس يذكر فيها وصول رسائل ابن بدران إليه وسروره بها. رحم الله الجميع.

شكواه من أهل زمانه وقيامهم عليه:

ابتلي ابن بدران من أهل زمانه ابتداءً من أهل بلدته دوما التي أخرجه أهلها منها بعد أن عاد إليها من سفره إلى أوربا والمغرب، حيث

(١) «أعلام الأدب والفن» لأدهم الجندي (١/ ٢٢٥) و «تاريخ دومة» ص ١٠٤.
(٢) سيأتي ذلك إن شاء الله في ذكر مؤلفات ابن بدران ص ٤٦.
(٣) «علامة الكويت الشيخ عبد الله الدحيان» لراقمه ص ١١٣ و١٩٠.

قال على لسان دمشق في كتاب «منادمة الأطلال»: «... ثُمَّ لَجَجْتَ في الهجر قافلاً إلى دوماك، جُرْثومة الهمجية، العَرِيقة بِبُغْضِ الحكماء والعُلَماء[1]! فَذُقْتَ بها أَلَم التَّعَدي والحسد، وأضنى حُمُرُها المستنفِرَةُ منك العقل والجسد، وتَأَلَّبَ أولئك المتوحِّشُون عليك يُريدون أن يُطفئوا نور الحكمة الذي أَطْلَعه اللَّهُ في فؤادك ببغيهم وحسدهم... قلبوا لك ظَهْرَ المِجَنّ، ورَموك بالإِفك ليسوقوا لك المِحَن...»[2].

ومن الأسباب التي أُخْرِجَ من أجلها ما ذكره فخري البارودي[3] في «مذكراته»[4] حيث قال: «... الشيخ عبد القادر بدران، أحد علماء قصبة دوما الفقهاء على المذهب الحَنْبَلِيّ، وهو من العلماء المجددين. وكان لسانه سليطاً جريئاً لا يهاب أحداً، فوقعتْ مرة مشادة بينه وبين رئيس بلدية دوما صالح طه، وتبادلا الهجاء، وعلى الإثر استصدر طه من الوالي أمراً بإبعاد الشيخ بدران عن دوما، فانتقل إلى دمشق، وحَلَّ ضيفاً علينا في بيتنا، مدة سنتين ونصف، حتَّى انتهت مدة نفيه...».

---

(١) لعله يشير بذلك إلى ما فعله أهل دومة في شيخه العلاَّمة محمد بن عثمان الشهير بخطيب دوما فقد قال جميل الشطي في «مختصر طبقات الحنابلة» ص ١٦٩ بعد أن ترجم له: «... ولم يزل يقرىء ويفيد إلى أن حصل له فتنة عظيمة من أهالي بلده؛ فآذوه وتكلموا فيه بما لا يليق بمنصب العلم، فرحل إلى دمشق واستوطنها وهجر دوما، وخَذَل الله أعداءه..».

(٢) «منادمة الأطلال» ص ٢.

(٣) هو فخري بن السيد محمود البارودي. ولد عام ١٨٨٩م في مدينة دمشق. انظر ترجمته في كتاب «من هو في سورية» ص ٨٢، ٨٣.

(٤) المطبوعة في بيروت سنة ١٩٥١م، ص ٣٤.

كما أن ابن بدران اشتكى من الجهلة المتعالمين في زمانه فقال: «ومما ابتدع في زماننا أنهم يجمعون أهل العمائم، فينتخبون مفتياً، ويسمونه رئيس العلماء، ثُمَّ تقرره الحكومة مفتياً، ويحصرون الفتوى فيه، فكثيراً ما ينال هذا المنصبَ الجاهلُ الغمرُ الذي لو عُرضت عليه عبارةُ بعض كتب الفروع ما عرف لها قبيلاً مِن دَبير، فنسأل الله حسن العاقبة.

على أن اختصاصَ واحدٍ بمنصب الإفتاء ــ لا يقبل الحاكم الفتوى إلاَّ منه ــ لم يكن معروفاً في القرون الأولى، وإنما كان الإفتاء موكولاً إلى العلماء الأعلام، واستمر ذلك إلى أن دخل السلطان سليم العثماني دمشق سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة من الهجرة، وامتلكها، فرأى كثرة المشاغبات بين المدعين للعلم، خصص إفتاء كل مذهب برجل من علمائه الأفاضل قطعاً للمشاغبات، ثُمَّ طال الزمن فتولَّى هذا المنصبَ الجليل كثيرٌ ممن لا يدري ما هي الأصولُ وما هي الفروعُ، فوُسِّدَ الأمر إلى غير أهله، وأُعطي القوس غير باريها»[1].

وقال في هذا الصَّنف أيضاً: «... لا سيما في زماننا هذا الذي صار فيه العلم جداول بلا ماء، وخِلافاً بلا ثمر، عمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج، والعلم عند الله تعالى»[2].

وأما حسدهم له فقد ذكره ابن بدران غير مرة فمنه قوله حينما ألَّف

---

(١) «المدخل» ص ٣٩١.

(٢) «العقود الياقوتية» ص ١٠٦.

«شرح الروضة»: «ثُمَّ إني مارست هذا الكتاب منفرداً عن كثرة المواد، والخل الصادق المواد، مع ترادف بلايا ومحن، وحسد **حتَّى على الوجود في هذا الكون**، واندراس العلم وقبض العلماء»[1].

هذا حال ابن بدران مع أهل بلده وزمانه وما ذاك إلاَّ من غربة الحق بينهم، فالله المستعان.

صفاته وثناء العلماءِ عليه:

أثنى على ابن بدران كل عالم منصف عرف قدره وفضله، قال عنه العلاَّمة الشيخ عبد الرزاق البيطار: «الأديب الكامل، والأريب العالم العامل...»[2]، وقال العلاَّمة خير الدِّين الزركلي: «فقيهٌ أُصوليٌّ حَنْبَلِيٌّ، عارف بالأدب والتاريخ... كان حَسَنَ المحاضرة، كارِهاً للمظاهر، قانِعاً بالكفاف، لا يعنى بملبس أو بمأكل، يصبغ لحيته بالحناءِ، وربما ظَهَر أثر الصبغ على أطراف عمامته. ضَعُفَ بصره قبل الكهولة، وفَلج في أعوامه الأخيرة. ولي إِفتاء الحنابلة»[3].

وقال الأستاذ أدهم الجندي: «وبرع ــ أي ابن بدران ــ في سائر العلوم العقليةِ والأدبيةِ والرياضيةِ، وتبحَّرَ في الفقهِ والنَّحو، فكان رحمه الله علماً من الأعلام».

وقال أيضاً: «كان شيخاً جليلاً زاهداً في حطام الدُّنيا، متقشفاً في

(١) «نزهة الخاطر العاطر» (٢/ ٤٧٢).

(٢) انظر ص ٥٧.

(٣) «الأعلام» (٤/ ٣٧).

ملبسه ومسكنه ومعيشته. . . كان رحمه الله ذو قرعة طويلة أمتدت إلى أسفل رقبته، أعمش العينين، شبيه الحوراني وابن الحافظ في الخلقة، يمتاز بمناقبه الحميدة»[١].

وقال العلاَّمة الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان الحَنْبَلِيّ ــ رحمه الله تعالى ــ : «العلاَّمة الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران، مدرسُ الجامع الأموي، وشيخ الحنابلة في البلاد السورية، ومُحدِّث الشام، وأحد أعضاء الرئاسة العلمية بدمشق».

وقال أيضاً: «العلاَّمة المُحقق الشيخ عبد القادر بن أحمد بدران، خاتمة المحققين في الشام. . . »[٢].

وقال عنه محمد تقي الدِّين الحصني: «وهو متضلع من العلوم العصرية والفنون الكثيرة، أشتهر في الشِّعر والتاريخ. . . كان سلفي العقيدة، يُحِبُّ التَّقَشُّف ويميل طبعه إلى الانفراد عن النَّاس والبعد عن الأُمراء. . . وله اختصاص في علم الآثار والكتب القديمة، ومعرفة أسماء الرِّجال ومؤلفاتهم من صدر الإسلام إلى اليوم»[٣].

وقال العلاَّمة الشيخ محمد بهجة البيطار في كلامه عن شيخه جمال الدِّين القاسمي وابن بدران: «وكانت صلته ــ أي ابن بدران ــ بالسيد القاسمي حسنة، وكان له ولشيخنا القاسمي أمل كبير، وسعي

(١) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) «علامة الكويت الشيخ عبد الله الدحيان» ص ٨٣، ٨٤.

(٣) «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٢، ٧٦٣) .

عظيم في تجديد النهضة الدينية العلمية في هذه الديار، فقد أشبها رحمهما الله تعالى أئمة السَّلف تعليماً للخواص، وإرشاداً للعوام، وتأليفاً للكتب النافعة، وزهداً في حطام الدُّنيا الزائلة»[1].

وقال أيضاً: «وكان لي شرف ضيافة الأُستاذ المترجَم ــ أي ابن بدران ــ ليلة مع صديقه الرَّحالة الجليل الأُستاذ خليل الخالدي المقدسي[2]، فأخذ الأستاذ بدران يسأله عما رأى من نفائس الكتب الإسلامية الخطية في ديار المغرب لا سيما الأندلس، والأُستاذ الخالدي يجيبه من حفظه بلا تلعثم ولا تريث كأنما يملي من كتاب، وقد كنتُ معجباً بالسؤال والجواب غاية الإعجاب»[3].

وقال الكاتب الكبير محب الدِّين الخطيب حين ذكر وفاته في مجلة «الفتح»: «وهو ــ أي ابن بدران ــ من أفاضل العلماء. . . وتلقَّى العلم عن المشايخ مدة خمس سنوات، ثُمَّ انصرف إلى تعليم نفسه بنفسه، فكان من أهل الصبر على التَّوسع في اكتساب المعارف من العلوم الشرعية والأدبية والعقلية والرياضية، وهو حَنْبَليّ

---

(١) مقدمة «منادمة الأطلال» ص (ك).

(٢) هو الشيخ خليل بن بدر بن مصطفى بن خليل الخالدي الديري المقدسي، رحالة، كان أعجوبة في معرفة المخطوطات وأماكنها، وكان من فقهاء الحنفية، وقد رحل إلى المغرب والأندلس، وتنقل في بلاد الشام، توفي في القاهرة سنة ١٣٦٠هـ له «الاختيارات الخالدية» في الأدب، في نحو ٣٠ كراسة. انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٢/ ٣١٦، ٣١٧).

(٣) مقدمة «منادمة الأطلال» ص (م).

المذهب. . . »[١].

وقال محمد بن سعيد العُمَاني الحَنْبَلِيّ: «الشَّيْخ العلاَّمة المُحَقِّق المُفَسِّر المُحَدِّث الأُصولي الكبير الفقيه المتبحر النَّحوي المُتَفَنِّن. . . ».

وقال أيضاً: «كان ـ رحمه الله ـ شَيْخاً جليلاً، مُقْتَفياً لطريقةِ السَّلَفِ الصَّالح، مدافعاً عنها، صابراً على أَذَى الأَعداء فيها، تَارِكاً للتَّعَصُّبِ، مع الدِّين والتَّقوى والعِفَّة والصَّلاح، زاهِداً في حطام الدُّنيا، مُتَقَلِّلاً منها. . . »[٢].

هذه أقوال أهل العلم والأدب في ابن بدران وبيان علمه واتساع معارفه، ووصفه بالدِّين والصلاح والعفةِ والتُّقى مع إعراضه عن الدُّنيا وحطامها الفاني.

إذا عرفت هذا واتضح لك الحق بان لك بطلان وجور كلمة الشيخ محمد جميل الشطي عن هذا الإمام حيث قال عنه: «عالم متطرف»[٣] ولا يستغرب موقفه هذا من ابن بدران فإنه ممن شرق بالدعوة التي يدعو إليها ابن بدران[٤]، مع اعترافه بأن ابن بدران عالم، ولا يضر كلامُهُ ابن بدران؛ فإن فضله ظاهر لكل منصف.

---

(١) «مجلة الفتح» عدد، (٦٧) ٢٥/ ٤/ ١٣٤٦هـ.

(٢) نبذة من ترجمة ابن بدران في آخر المدخل ص (أ).

(٣) «أعيان دمشق» لجميل الشطي ص ٣٤٥.

(٤) ألف الشيخ محمد جميل الشطي رسالة بعيدة عن الصواب بعنوان: «الوسيط بين الإفراط والتفريط إفراط الحشوية وتفريط الوهابية». وقد علَّق الشيخ محمد نصيف ـ رحمه الله تعالى ـ على نسخته الخاصة في مكتبته بقوله: «هذه الرسالة فيها من التخليط والتخبيط ما لا مزيد عليه!!».

أعمالـه وسكنـه:

لمَّا كان الشيخ عبد القادر بن بدارن في بلدته دوما تولى التدريس، وكان مما درّسه بعض كتب الحنابلة والتي منها كتاب «شرح منتهى الإرادات» للبهوتي، يقول ابن بدران: «... ولقد كنتُ في حدودِ أربعَ عشرة وثلاثِ مئةٍ بعد الألف أقمتُ مدة في قصبة دوما دمشق، فأقرأت هذا الشرح، وكتبتُ عليه حاشية وضعتها أثناء القراءة، وصلتُ فيها إلى باب السلم، في مجلد ضخم، ثمَّ خرجت من دوما إلى دمشق، وهنالك لم أجد أحداً يطلب العلم من الحنابلة، بل يندرُ وجود حنبلي بها...»[1].

وكان الشيخ عبد القادر بن بدران عضواً في شعبة المعارف في دومة، وعين مصححاً ومحرراً بمطبعة الولاية وجريدتها[2]؛ كما أنه اشترك في عهد الأتراك بتحرير جريدة المقتبس[3]، وكتب في صحف دمشق كالمشكاة والشام والكائنات والرأي العام[4]، وفي ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٠٩م أي سنة ١٣٢٩هـ أنشأ مجلة «موارد الحكمة»[5].

ثُمَّ اشتغل الشيخ عبد القادر بالتدريس والعلم فكان يدرس في

---

(١) «المدخل» ص ٤٤١.

(٢) «معجم المطبوعات العربية» (١/ ٥٤١).

(٣) «تاريخ دومة» ص ١٠٤.

(٤) «مجلة الآثار» (٤/ ٥٣١، ٥٣٢).

(٥) «تاريخ الصحافة العربية» لفيليب دي طرازي (٤/ ٤٢) وقد ذكرها تحت عنوان: «جرائد الدولة السورية مدينة دمشق».

الجامع الأموي، قال الأستاذ أدهم آل الجندي: «وأقام أكثر حياته يدرس تحت قُبَّة النَّسْرِ[1] في الجامع الأموي التفسير والحديث والفقه...»[2]، وكان مما درَّسه كتاب «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني المقدسي ــ رحمه الله ــ حيث يقول: «... وقد كنتُ طالعتُهُ قديماً أثناء الطَّلب، ثُمَّ إني كنتُ ممن ولع في هذا الكتاب، وقرأتُهُ درساً في جامع بني أُمية[3] تحت قبة النسر...»[4].

وقال العلاَّمة محمد بهجة البيطار ــ رحمه الله تعالى ــ: «وكان ــ أي ابن بدران ــ يقرأ درساً عامّاً في جامع بني أُمية، يميل فيه إلى التجديد والفلسفة»[5].

وقد درّس في المدرسة السُّميساطية بدمشق، كما ذكر عنه تلميذ العلاَّمة محمد سليم الجندي[6].

وقال العلاَّمة خير الدِّين الزركلي ــ رحمه الله ــ: «ولي إِفتاء الحنابلة، وانصرف مدة إلى البحث عما بقي من الآثار في مباني دمشق

(١) ذكر العلاَّمة الشيخ عبد الرزاق البيطار أول من دَرَّس تحت قبة النسر بالجامع الأموي، كما أفاض في ذكر بقية من درس بها، انظر: «حلية البشر» مع تعليق حفيده الشيخ محمد البيطار (١/١٤٨ ــ ١٦٧).

(٢) «أعلام الأدب والفن» له (١/ ٢٢٤).

(٣) أي الجامع الأموي.

(٤) «المدخل» ص ٤٧٠.

(٥) مقدمة «منادمة الأطلال» ص (ك).

(٦) «تاريخ مَعَرَّة النعمان» (١/٧، ٨)، وانظر: «شعراء من دوما» ص ١٠٠.

القديمة، فكان أحياناً يستعير سُلَّما خشبياً، وينقله بيديه ليقرأ كتابةً على جدار أو اسماً فوق باب»[١].

قلت: والسبب في انصرافه إلى هذا العمل، أن قاضي دمشق الشيخ عبد المحسن الأسطواني[٢] كلف لجنة على رأسها العلاّمة ابن بدران للطواف على مدارس دمشق ووصف حالتها، وما فيها من الطلاب، وما قد تحتاج إليه من إصلاح وترميم فقامت اللجنة بالعمل المكلَّفة به، وقدمت التقرير إلى القاضي في ١٨ صفر سنة ١٣٢٨هـ[٣] والسبب الآخر تأليفه لكتاب «منادمة الأطلال» في الآثار الدمشقية والمدارس العلمية.

---

(١) «الأعلام» (٤/ ٣٧).

(٢) هو الشيخ المعمر عبد المحسن بن عبد القادر الشهير بالأسطواني الحنفي، عالم فقيه حنفي من أسرة علم، توفي سنة (١٣٨٣هـ)، انظر ترجمته في: «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٨٣٨)، و«علماء دمشق في القرن الرابع عشر» (٢/ ٧٧٠ ـ ٧٧٦).

(فائدة) ذكر الشيخ جميل الشطي الحنبلي في كتابه «الفتح الجلي في القضاء الحنبلي» ص ٥ لما ذكر القضاة في دمشق وذكر آل مفلح العائلة الحنبلية المشهورة قال: «تنبيه: بنو مفلح الآن هم بنو الأسطواني العائلة العلمية المعروفة في دمشق».

وقال الحصني في «منتخبات التواريخ» (٢/ ٨٣٧): «... ينتمون إلى آل مفلح إلا أنه في القرن الحادي عشر انتقلوا إلى مذهب الإمام أبي حنيفة».

(٣) انظر مقالة: «وثيقة رسمية عن مدارس دمشق القديمة» في «مجلة المجمع العلمي» بدمشق (٤٨/ ٣١٦) للدكتور صلاح المنجد، وقد ذكر فيها الوثيقة كاملة مع صورتها وتوقيع ابن بدران عليها.

وقال محمد بن سعيد الحنبلي: «وكان... كثير التَّنقُّلِ بين قرى غُوطَة الشام لتبليغ العلم للعامة، وتعليمه للطلبة الذين لا يستطيعون الرحلة... وكان فيما مضى يُدرس تحت قُبَّة النَّسْرِ في الجامع الأموي التفسير والحديث والفقه، ثُمَّ انتقل إلى مدرسة عبد الله باشا العظم المشرفة على القلعة الفرنسوية»(١).

هذا وقد استقر الشيخ ابن بدران في هذه المدرسة، يقول الحصني: «ومكث ما يقرب نصف قرن في مدرسة عبد الله باشا العظم من معاهد العلم الشهيرة...»(٢).

وقال الشيخ محمد بهجة البيطار حينما ذكر أنه كان يطلب العلم عند القاسمي: «... وفي فصلَي الربيع والصيف، في غرفة عالية من مدرسة عبد الله باشا العظم. وكُنَّا نرى العلاَّمة الجليل الشيخ عبد القادر بدران عنده بعض الطلبة يقرؤون عليه، إذ كان مقامه طعاماً ومناماً وتدريساً في غرفة كبيرة من المدرسة المذكورة...»(٣). وقال ابن بدران عن غرفته هذه: «وغرفتي يصعد إليها بست وثلاثين درجة...»(٤).

---

(١) نبذة من ترجمة ابن بدران في آخر المدخل ص (أ).

(٢) «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٨٦٢).

(٣) مقدمة «منادمة الأطلال» ص (ك).

(٤) «علاَّمة الكويت ابن دحيان» ص ١١٦.

وقال أدهم الجندي: «وكان يدرس في مدرسة عبد الله باشا العظم في البزورية وينام فيها، ويعيش من الراتب المخصص له من دائرة الأوقاف»(١).

وقال ابن بدران ذاكراً لغربته في مسكنه وذلك في خاتمة المجلد الأول من كتابه «موارد الأفهام»: «وهنا انتهى المجلد الأول من «موارد الأفهام» على يد منشئه العاجز الحقير الغريب في أوطانه، الساكن مساكن الغرباء، الفقير عبد القادر بن أحمد الشهير كأسلافه بابن بدران، وذلك في مدرسة عبد الله باشا العظم في دمشق الزاهرة...».

محبَّته لدمشق:

أحب ابن بدران دمشق ـ حماها الله وسائر بلاد الإسلام ـ فقام بخدمتها وألف كتاباً في مدارسها، كما أنه هَذَّبَ «تاريخ دمشق» لابن عساكر حيث يقول في مطلع المجلد الأول: «... وأرجو الله أن يكون كتاباً أخدم به أهل الوطن، وهدية لمحبي العلم الناهجين فيه على أقوم سنن...».

كما ألف أيضاً في المفتين بالشام كتاباً سماه: «الرَّوض البَسَّام في تراجم المفتين بدمشق الشَّام».

وقال في «منادمة الأطلال»: «لَجَّ بِـي السَّهَرُ ليلةً من الليالي مُنْفَرِداً أُنَادِمُ الأطلالَ والخيال؛ فتجلَّتْ لِيَ دمشقُ غَادةً حسْنَاءَ مُسْفِرَةً عن جَمَالِ وَجْهِها، تقول: أَلَا لَفْتَةَ لأحادِيث آثاري؟ وهَلَّا ساعةً في تذكار

(١) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٤).

أخباري؟ . .» إلى أن قال: «. . . فَخَلَبَ لُبـي لطيفُ كلامها، واتَّقَدَتْ فيه جَذْوَةُ غرامِها وقلت[1]:

مـا بَعْـدَ جِلَّـقَ لِلْغَـرامِ مَـرَامُ — وَغَيْـرُهـا وَطَـنٌ علـيَّ حَـرَامُ
لَكِنْ هي الأَقْدَارُ تَفْعَلُ ما تَشَا — صَبْـراً جَمِيـلاً والكَـلاَمُ كِـلامُ

لَبَّيك يا ليلى الجَمَال، وسَلْمَى المَحَاسِن! أنا الخاضِعُ لما تأْمُرِينَ ما دمْتُ عبد القادر ودُعِيتُ بابْنِ بَدْرَانَ، أَنا الهَائِمُ في إظهارِ صِفَاتِكِ، المُقِيم على مَحَبَّتِكِ ما كرَّ الجَدِيدانِ. . .»[2].

وحينما كان في الجزائر من بلاد المغرب الإسلامي أرسل رسالة إلى بلدته دوما يقول فيها:

حَيّ الحَيَا «دُوما» البَدِيعَةَ إِنَّها — أَضْحَتْ جَمَالَ الغُوطَة الفيحَاءِ
وسَمَتْ على المَرْجَيْنِ في عِزٍّ وفي — طِيـبِ الهَـواءِ وبـاليَـدِ البيضـاءِ
وَرِيَاضُها طَابَ النَّسِيمُ بها فَكَمْ — شُفِـيَ المَـرِيضُ بهـا مـن البَلْـواءِ
أَطْيَـارُهـا غَنَّـتْ علـى العِيـدانِ إِذْ — رَقَـصَ النَّسِيـمُ لِـرِقَّـةِ النُّـدَمَـاءِ
والمَاءُ يَمْشِي في الرِّياضِ مُقَسَّماً — يَسْعـى لِخِـدْمَـةِ أَهْـلِ ذَاكَ المـاءِ
لِلَّـــهِ رَاسُ العَيْـــنِ فيهـــا إِنَّـــهُ — مَجْلَـى الهُمُـومِ ومَكْمَـدُ الأَعْـدَاءِ
جَمَـعَ الحَـرارةَ والبُـرُودة مـاؤهـا — فاْعْجَبْ لِتِلْكَ الرَّوْضَةِ الحَسْنَاءِ
كَرُمَتَ بِكَرْمَةِ أَرْضِها وتَفَاخَرَتْ — والكَـرْمُ مَنْشَـأُهُ مـن الكُـرَمَـاءِ
زَيْتُـونهـا قـد أَقْسَـمَ البَـارِي بِـهِ — فـالتِّيـنُ والـزَّيْتـون جُـلُّ مُنَـائِـي

(١) انظر ديوان ابن بدران المسمى بـ «تسلية اللبيب» (٢١/ ب).
(٢) «منادمة الأطلال» ص ٢، ٣.

أَعْنَابُها ما إنْ لَها مِنْ مُشْبِهٍ ما بَيْنَ أَنْدَلُسٍ إلى صَنْعَاءِ
مَنْ قالَ إنَّ الغَرْبَ أَحْسَنُ مَوْطِناً فَلَقَدْ رَآهُ بِمُقلَةٍ عَمْيَاءِ

إلى أن قال:

مِن أيْنَ للمدنِ العَظِيمةِ مالَها بالنَّيْرَبَيْنِ من كَمَالِ بَهَاءِ
بَرَدَى يَصْفُقُ بالرَّحِيقِ وبانيا سُ لَهُ النَّدِيمُ مُعَنْبِر الأَرْجَاءِ
والمَرْجَة الفَيْحَاءُ أَفْدِيها بِما في الغَرْبِ من جَبَلٍ ومِنْ صَحْرَاءِ
ما جِلَّقٌ إلاّ رِيَاضُ مَحَاسِنٍ ومَفَاخِرٍ وَمَكَارِمٍ وهَنَاءِ
هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا ودُرَّةُ تاجِها ومَعَادِنُ العُلَمَاءِ والأُدَبَاءِ
تَسْمُو بِغُوطَتِها وَتَرْفُلُ بالبها لِطَرَائِفِ الأَنْوَاءِ والأَنْدَاءِ

إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى(١).

علاقته بصدر سورية أمير الركب الحجازي:

كان هناك رجل كريم يتصف بصفات الشهامة والرجولة والأخلاق الكريمة؛ ألا وهو صدر سورية وأمير الحج عبد الرحمن باشا اليوسف، وقد امتدحه الشعراء وأثنى عليه الفضلاء، وممن أثنى عليه بل وأفرده بالترجمة بعد وفاته(٢) العلاَّمة ابن بدران برسالة بعنوان «الكواكب الدرية في تاريخ عبد الرحمن باشا اليوسف صدر سورية» وهي ترجمة وافية(٣)، ومما قال فيها: «إن فيما مضى من ترجمة ذلك السيد لِمَمَّا

(١) «تسلية اللبيب» (٣٠/ب، ٣٣/أ).
(٢) توفي هذا الفاضل في سنة ١٣٣٩هـ، رحمه الله تعالى.
(٣) تقع في ١١٨ صفحة.

يومىء ويشير إلى إجمال ما أوتيه من الفضائل والفواضل، ولكن المكرر أحلى، وهو لصدإ الصواب أجلى، وإني لذاكر من بعض ذلك جُملاً لا أرضى أن تذهب هملاً، وذلك أن الحظ ساعدني سنة من السِّنين بصحبة السيد المشار إليه، فكنت عنده في منزله في سوق الغرب من جبل لبنان أقرىء أشباله ساعة من زمان، ثُم أكون أحياناً مسامراً لحضرته، فشاهدت من لطفه وكرمه ما لم أكن أعهد من بقية السَّادة. . . »(١).

وقد ذكر غير ذلك مما رآه بنفسه من هذا الشهم من النخوة والنجدة، وأثنى عليه بأكثر من قصيدة، منها «صدق المقال المنصف في مدح عبد الرحمن باشا اليوسف»(٢).

عزوبته:

العلاَّمة ابن بدران في عداد العلماء العزاب، يقول رحمه الله تعالى في خاتمة شرح الروضة: «. . . وأسأله تعالى أنَّه كما عودني لطفه وإحسانه الجميل فيما مضى، أن يديم ذلك عليَّ فيما بقي، وأن يعينني على نشر العلم، ويجعل بيني وبين القواطع سداً مسدوداً، ويمنع عني مراوغة الأعداء وكيد الحساد ومكر أعداء العلم وأهله؛ فإنه لا مال لي

---

(١) انظر: «الكواكب الدرية» ص ٨٦ وانظر ما قبلها ص ٨٣.

(٢) قال ابن بدران: «وقد طبعت ـ أي هذه القصيدة ـ يومئذ ووزعت» وهي مذكورة في «الكواكب الدرية» ص ٩٢ ـ ٩٦، وكذلك ذكرها في ديوانه «تسلية اللبيب» (٦٨/أ ـ ٦٩/أ).

ولا بنون إلاَّ معونته سبحانه وتعالى ورزقه الذي تفضل به عليَّ كفافاً. . .»[1].

وقال الأستاذ أدهم آل الجندي: «. . . لقد آثر العزوبة في حياته ليتفرغ لطلب العلم والتدريس»[2].

شـعـره:

وصف غير واحد العلاَّمة ابن بدران بأنه أديب وشاعر، قال العلاَّمة خير الدِّين الزركلي: «. . . عارف بالأدب والتاريخ، له شعر. . .»[3].

وقال محمد تقي الدِّين الحصني: «سبق كثيراً من إخوانه وأقرانه في الأدب واللغة»[4].

وقال الأستاذ أدهم آل الجندي: «كان شاعراً وأديباً وقطباً وعالماً فذاً بليغاً، وجمع شعره في ديوان».

وقال أيضاً: «وكان يهوى المطارحات والمساجلات الشعرية مع الشعراء والأُدباء»[5].

وقد تنوع شعر ابن بدران فمنه في المرثيات، ومنه بعض

---

(١) «نزهة الخاطر» (٢/ ٤٧٤).

(٢) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٥).

(٣) «الأعلام» (٤/ ٣٧).

(٤) «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٣).

(٥) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٤، ٢٢٥).

الغزليات، ومنه ما كان في تذكر الأطلال حينما كان مسافراً إلى المغرب، كما أشار إلى ذلك في مقدمة ديوانه؛ قال بعد ديباجة لطيفة: «. . . لما كانت بنات الأفكار أغلى من بنات الأَبكارِ، ومَحاسِنُ التَّشبيه رياضَ الأديب النبيه، وبدائعُ البَديع أبدعَ مِنْ أزهار الرَّبيع، وتذكُّرُ الدِّمن والمَنازلِ أسكرَ من احتساء البلابل، وأسحرَ من سِحر بابل، والغزلُ والنسيبُ نسيبين لذكرى حبيب، وشكوى الأرق والهجر أرقَّ من نسيم الفجر. . .».

إلى أن قال بعد أن ذكر سفره إلى المغرب وضياع بعض الأوراق التي فيها شعره: «ولَمَّا قدَّر الله الرجوع إلى الوطن تذكرت تلك الأطلال والدِّمن، فرأيتها شيئاً يسيراً، فأردت جمعها لتكون لي تذكاراً على ما مضى وسميراً، مع أني لم أُكَلِّف نفسي نَظماً ولا أتعبتُ له قريحةً ولا فهماً، بل وَقَعَ عفواً ترويحاً للبالِ، وفي الخلوات نجوى، وجعلت ما نظمته مرتباً على أبواب وفصول. . .»[1].

فدل هذا على معرفة ابن بدران بالشعر، ومما يدل على عنايته به أنه ألف كتاباً أسماه: «المنهل الصافي في شرح الكافي في العروض والقوافي» وقد درس عليه غير واحد في العَروض والقوافي كما سيأتي ذلك في ذكر تلاميذه، ومضى ذكر بعض شعره، ومما قال أيضاً حينما كان مسافراً[2]:

حَلَفَ الزَّمانُ لَيُنْسِيَنِّي عَهْدَهُ ... حَنَثَتْ يمينُكَ يا زمانُ فكفِّرِ

---

(١) «تسلية اللبيب» له (٢/أ، ب).

(٢) المصدر السابق (٧٠/ب).

مَـنْ كـانَ يَـزعُـمُ أنني أَسْلُـوهُ أَوْ يحلو لعيني الغيرُ فهو المفتري
لـو أَنَّ بــي سعـةً لمـا فَـارَقْتُـهُ ولَكُنْتُ خُضْتُ اليومَ مَتْنَ الأَبْحُرِ

وقال ارتجالاً عندما تكلم على «لو» في «حاشيته على شرح الألفية لابن الناظم بدر الدِّين»[1]:

وكـم مـن قـائـلٍ لـو بَعْـدَ عَـضٍّ كُفـوفـاً قـارِعـاً سِنّـاً زمـانـا
يُعَـاتِـبُ دهـرَه حينـاً ويشكـو فـلا يُعْطِيـهِ مـن جَـوْرٍ أمـانـا
تَحَيَّـرَ فـي صُـرُوفِ الـدَّهْـرِ حتَّـى بِحَبْـلِ اللّـهِ قَـدْ أَمْسَـى مُصَـانـا

وقال الأستاذ أدهم آل الجندي[2]: «ومن شعره البديع تخميسه بيتين من نظم شاعر دوما الأُستاذ محمود خيتي طلب إليه تخميسهما فقال وقد أبدع:

اليُسْـرُ يَعْلـو ولـلإعْسَـارِ إدبـارُ واللّهُ يُحْكِمُ ما يقضِي ويختارُ
إنْ أُمُّ دَفْرٍ[3] جَفَتْ أَوْ أَهْلُها جاروا (خَفِّـضْ عليـكَ فلِـلأَقْـدَارِ أَدْوارُ)
وحـاذِرِ الـدَّهْـرَ إنَّ الـدهـرَ غـدَّارُ
كُنْ كالمُهَنَّدِ في الرَّمْضَاءِ إنْ خَطَرَتْ ظَلْمَاءُ كَرْبٍ وجَلِّيها إذا ٱنفَطَرَتْ
وكُنْ بِنَفْسِ عِنانِ الدَّهْرِ قد أَسَرَتْ ولا تَكُنْ وَجِلاً مِنْ كُتْلَةٍ غَدَرَتْ
فَلِلْبُغَــاةِ ليــالٍ نُــورُهــا نــارُ

(١) المصدر السابق (٤٦/ب).
(٢) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٤).
(٣) أم دفر: الداهية.

مـؤلـفـاتـه:

جادت قريحة العلاَّمة ابن بدران بمؤلفات جليلة، ومصنفات مفيدة، دلت على عنوان عقله، ولسان فضله، ولا شك أن مؤلفات العالم هي ولدُه المُخَلَّد، قال الأستاذ أدهم آل الجندي: «ألَّف ــ رحمه الله ــ المؤلفات التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع، غير أن بعضها لم يكمل لإصابته بداء الفالج في آخر عمره وقد تخدرت يمناه من الكتابة...»[1].

وقال محمد بن سعيد الحَنْبَلِيّ: «وألف المؤلفات النافعة التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع، غير أن بعضها لم يكمل، ووجهه فيما يظهر ما أُصِيبَ به من داء الفالج في آخر عمره حتَّى خدرت يمناه عن الكتابة، واستعان عليها باليسرى»[2].

وهذا أوان الشروع في ذكرها مرتبة على حروف المعجم:

١ ــ **آداب المطالعة**. قال في «المدخل» له ص٤٨٧: «ثُمَّ إنه بعد الألف من الهجرة ألّف الفاضل المُحَدِّث الشيخ أحمد المنيني الدِّمشقي كتاباً لطيفاً سماه: «الفرائد السنية في الفوائد النحوية» وأشار فيه إلى طرف من آداب المطالعة، وقد لخصتُ ذلك الطرف في رسالة، وزِدتُ عليه أشياء استفدتها بالتجربة...».

---

(١) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٤).

(٢) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٤).

٢ ـ إيضاح المعالم من شرح العلاَّمة ابن الناظم[١]. وهو شرح على ألفية ابن مالك في النحو. يقع في ثلاثة أجزاء[٢]. وقد أشار إليه في «المدخل» ص ٤٨٧ و «تسلية اللبيب» (٤٦/ب).

قلت: كان يوجد منه الجزء الثاني والثالث في مكتبة شامل الشاهين الخاصة[٣]، ويقع الجزء الثاني في ٢٥٤ ورقة وهو بخط مصنفه

---

(١) شَرَحَ ألفية ابن مالك جمعٌ من العلماء، منهم ابنه العلاَّمة بدر الدِّين محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الجيّاني الدِّمشقي، قال عنه صلاح الدِّين الصفدي في «الوافي بالوفيات» (١/ ٢٠٤): «الإمام البليغ النَّحوي بدر الدِّين ابن الإمام العلاَّمة جمال الدِّين الطائي الجيّاني ثُمَّ الدِّمشقي، كان إماماً ذكياً حادّ الخاطر، إماماً في النحو إماماً في المعاني والبيان والبديع والعروض. . .» إلى أن قال: «ومن تصانيف الشيخ بدر الدِّين «شرح ألفية والده المعروفة بالخلاصة» وهو شرح فاضل منقّى منقّح. . . ولم تُشرح الخلاصة بأحسن ولا أسدّ ولا أجزل منه».

(٢) قال ابن بدران في الورقة الأخيرة من حاشيته على «معونة أولي النهى» للبهوتي: «ثُمَّ جعلت أُروِّح الفؤاد في الفوائد الأدبية، وأُنزِّه الطرف في نزهة محاسنها، فأتممت كتابـي الذي سميته: «إيضاح المعالم من شرح العلاَّمة ابن الناظم» في ثلاثة أسفار».

(٣) حصل للأستاذ شامل الشاهين ـ المقيم بتركيا ـ مجموعة من المخطوطات اقتناها من مكتبة الشيخ عبد الغني الدره الدومي، المعروف بابن الدرة، وكان في ضمن هذه المخطوطات خمس من مؤلفات ابن بدران بخطه، وقد نشر الأستاذ إبراهيم السمك تقريراً وصفياً عن هذه المخطوطات في مجلة معهد المخطوطات العربية الصادرة في الكويت المجلد الثاني والثلاثون، الجزء الثاني، وذلك في ذي القعدة سنة ١٤٠٨هـ من ص ٢١٣ إلى ٢٣٩، ولما =

ابن بدران رحمه الله، وقد انتهى من هذا الجزء في يوم الجمعة في الحادي والعشرين من محرم سنة ١٣١٧هـ.

وأوله: «نائب الفاعل: الترجمة بذلك مصطلح ابن مالك، وأمَّا الجمهور فيقولون المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعلهُ...».

وآخره: «قال الخطيب التبريزي في «شرح الحماسة»: والمعنى أن الراكب خلفي، وعن تلك الإبل ففزعن لأجل صوته كفزع العطاش الشديدة العطش من الزجر... والحمد لله على كل حال، قد نجز الجزء الثاني من حاشية ابن الناظم على يد جامعه ومؤلفه ومهذبه ومرصفه عبد القادر بن المرحوم أحمد بن المرحوم مصطفى الشهير بابن بدران».

ويقع الجزء الثالث من هذه الحاشية في ٢١٢ ورقة وهو بخط مصنفه، وقد انتهى من هذا الجزء في يوم الثلاثاء قبيل الظهر في الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٨هـ.

وأوله: «نونا التوكيد، قوله: للفعل، قدم المعمول لإفادة الحصر، قوله: بنونين بكل منهما على انفراده...».

وآخره: «... وعطف الأصحاب على الآل من عطف العام على

= اطلعت على هذا العدد اتصلت بعد محاولات كثيرة وأسفار متعددة بالأستاذ شامل الشاهين، فوجدت منه ــ جزاه الله خيراً ــ كل ترحيب؛ إلا أنه بكل أسف شديد بعد محاولة مني ومنه للوصول إليها تبين أنه قد امتدت إليها يد أثيمة بالسرقة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما بقي لنا إلا وصفها الذي فيه ذكر أول المخطوط وآخره والله المستعان، ومعذرة إليك أيها القارىء في الإطالة.

الخاص إن أُريد بالآل القرابة، ومن عطف الخاص على العام إن أُريد بهم كل تقي، وإنما فعل ذلك تخصيصاً لهم بمزيد الشرف ووفاء ببعض الثناء عليهم المطلوب. . .».

٣ ــ **الأجوبة عن الأسئلة البيروتية**، وهي أجوبة عن أسئلة أرسلها إليه الشيخ عبد الحفيظ بن إبراهيم اللاذقي من بيروت، وتقع في ٧ ورقات، وهي ملحقة بالأجوبة القازانية، في مكتبة الشيخ زهير الشاويش في بيروت.

٤ ــ **البدرانية شرح المنظومة الفارضية**. وهي شرح لمنظومة الفرائض للعلاَّمة شمس الدِّين محمد الفارضي المصري المتوفى سنة ٩٨١هـ، وقد طبعت في مطبعة المكتبة السلفية بدمشق لصاحبها الشيخ محمد أحمد دهمان وذلك على نفقة محمد بن عبد الله القرعاوي في ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ.

٥ ــ **تاريخ دوما منذ فجر الدولة العباسية حتى القرن الرابع عشر الهجري**، ذكره معروف زريق في كتابه «شعراء من دوما» ص ١٠٣.

٦ ــ **تشنيف الأسماع في بيان تحرير المُدِّ والصاع**. مخطوط يوجد لدى الأستاذ الشيخ زهير الشاويش[١].

٧ ــ **تعليق على مختصر الإفادات للبلْباني**. أشار إليه في «المدخل» ص ٤٤٥ حيث يقول: «ولقد كنتُ قرأت هذا الكتاب على

---

(١) ذكره الشيخ البيطار في تقديمه لمنادمة الأطلال ص (ن).

شيخنا العلاَّمة الشيخ محمد بن عثمان المشهور بخطيب دوما، وعلَّقت على هوامشه تعليقات انتخبتها أيام بدايتي في الطلب».

٨ ــ **تعليق على لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة**. طبع على نفقة عيسى بن رميح العقيلي وذلك بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣٨هـ.

٩ ــ **تهذيب تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري**. ذكره عيسى معلوف في مجلة الآثار (٤/ ٥٣١).

١٠ ــ **تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر**. طبع منه خمسة أجزاء في حياة المؤلف، وذلك على نفقة مطبعة روضة الشام لصاحبها خالد فارصلي سنة ١٣٣٠هـ وما بعدها، إلى سنة ١٣٣٢هـ، والجزءان السادس والسابع وقف على طبعهما الأستاذ أحمد عبيد رحمه الله، والكتاب يقع في ثلاثة عشر مجلداً. وقد صورت دار المسيرة في بيروت الأجزاء السبعة سنة ١٣٩٩هـ.

١١ ــ **جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في تفسير كلام العزيز الجبار**. ذكره في كتابه «المدخل» ص٤٤٧. وهو لم يكمل، وأخبرني الشيخ زهير الشاويش أنه يطبع الموجود منه وهو جزء ليس بالكبير.

١٢ ــ **حاشية على أخصر المختصرات للبلْباني**. وقد طبعت مع أخصر المختصرات لابن بلْبان في دار البشائر الإسلامية ببيروت بتحقيق كاتب هذه الأسطر.

١٣ ــ **حاشية على رسالة ذم الموسوسين لابن قدامة**. ذكرها في المدخل ص٤٥٩.

١٤ ــ **حاشية على شرح منتهى الإرادات**. يقع في جزئين، وصل فيه إلى باب السَّلم. ذكره في «المدخل» ص٤٤١، وفي «العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية» ص١٦٢.

قلت: كان يوجد منه الجزء الثاني بخط مصنفه في مكتبة شامل الشاهين الخاصة، أوله: «... لما فرغت من التعليق على ربع العبادات من شرح المنتهى، أتبعته بالمجلد الثاني، طالباً منه التوفيق...».

وآخره: «... ولو كانت هذه الزيادة في عدد...». وقد فرغ منه في سنة ١٣١٤هـ.

١٥ ــ **حَاشية الرَّوْض المُرْبِـع شرْح زاد المُسْتقنِـع**. الجزء الأول، إذ لم يتم الباقي منه، مخطوط.

قلت: كان يوجد منه الجزء الأول في مكتبة شامل الشاهين الخاصة ويقع في ١١١ ورقة وهو بخط مصنفه، وقد انتهى منه سنة ١٣٠٤هـ وهو من أوائل تآليفه، وكان تأليفه له بإشارة من شيخه الشيخ أحمد بن حسن الشطي كما ذكر ذلك العلاَّمة الشيخ عبد الله بن خلف بن دحيان(١).

أوله: «قال الفقير إلى مولاه عبد القادر بن أحمد بن بدران: الحمد لله وكفى، وصلى الله على الرسول المصطفى وعلى أهل الوفا وبعد... قوله بسم الله الرحمن الرحيم أعترض بأن هذه الجملة لا تخلو من أن تكون إخبارية أو إنشائية...».

---

(١) انظر كتاب «علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الدحيان» ص ٨٤.

وآخره: «لأن الشهر في الحقيقة ما بين الهلالين، وقد ثبت أن هذا اليوم منه في جميع الأحكام، فكذا الصوم. إلى هنا انتهى مجال القلم في ميدان التحرير، وحالت مواقع عن الإتمام، وكان روض الإقبال على هذا الكتاب، فأصبح لا نجد فيه منادماً ولا سميراً فإليه تعالى المشتكى وبه الحول والقوة، وقد قضيت ظروف هذه الأوقات بالاشتغال بغير هذا الكتاب والله تعالى مقلب القلوب. وكان الفراغ من تحرير هذه القطعة أثناء قراءتي هذا الشرح مبدأ الطلب في دمشق ذات المحاسن الباهرة سنة ١٣٠٤هـ».

١٦ ــ **درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص**. طبعت على نفقة المكتبة السلفية بدمشق من غير ذكر للتاريخ[1].

١٧ ــ **ديوان تسلية اللبيب عن ذكرى حبيب**. مخطوط منه نسخة في الظاهرية (رقم ٦٦٥٦) بخط المصنف وتقع في ٩٥ ورقة كتب في آخره: «هذا آخر ما أتممت نظمه في المستشفى، وكتبته بيدي اليسرى، والحمد لله على كُلِّ حال»[2].

١٨ ــ **ديوان الخطب المنبرية**. مجلدة أشار إليه في آخر كتابه «كفاية المرتقى» ص٥٢.

---

(١) انتهيت بفضل الله من تحقيقها، وقد طبعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت سنة ١٤١٧هـ.

(٢) وفي هذا المقام فإنه لا يفوتني شكر الأخ الأستاذ المحقق مأمون الصاغرجي على سعيه لي في الحصول على هذه النسخة من مكتبة الأسد بدمشق، وكذلك الصديق الأستاذ الدكتور يحيى مير علم فجزاهما الله خيراً.

١٩ ــ **ذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبليّ**. ذكره في كتابه «المدخل» ص ٤٧٨ .

٢٠ ــ **الرحلة المغربية**. أشار إليه في «تسلية اللبيب» (٢٨/أ).

٢١ ــ **رسالة تهكمية على الصوفية**. ذكرها العلاَّمة الزركلي في الأعلام (٤/٣٨) وأشار إلى أنها مخطوطة وقال: إن ابن بدران شرح بها أبياتاً من هزل ابن سودون البشبغاوي، فحولها ابن بدران إلى أغراض صوفية تهكمية على لسان «القوم».

٢٢ ــ **رسالة في الرُّبع المُجَيَّب**. ذكرها البيطار في تقديمه لمنادمة الأطلال ص (ن)، والعماني في ترجمته لابن بدران في آخر المدخل ص (ب).

٢٣ ــ **رسالة في الرُّبع المُقَنْطَر**. ذكرها البيطار في تقديم المنادمة ص (ن)، والعماني ص (ب).

٢٤ ــ **رسالة في علم البديع**. مخطوط لدى الشيخ زهير الشاويش.

٢٥ ــ **روضة الأرواح**. مخطوط. كان في مكتبة شامل الشاهين ويقع في ١١ ورقة بخط مصنفه، وقد انتهيت من تحقيقه وطبع مع رسالته درة الغواص.

٢٦ ــ **الرَّوْضُ البَسَّام في تراجم المفتين بدمشق الشَّام**. ذكره في الكواكب الدرية ص٨ وقد لخصه من كتاب «عَرْفُ البَشام» للمرادي وزاد عليه من أتى بعده.

٢٧ ــ **سبيل الرَّشاد إلى حقيقة الوعظ والإرشاد**. جزءان ذكره العماني في آخر «المدخل» ص ب والبيطار في مقدمة منادمة الأطلال ص (ن).

٢٨ ــ **شرح الأربعين حديثاً المنذرية**. ذكره ابن بدران في آخر كتابه «كفاية المرتقي» ص٥٢، ومنه نسخة بخط مصنفه في مكتبة الشيخ زهير الشاويش.

٢٩ ــ **شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد**. ذكره في كتابه «المدخل» ص٤٧١ حيث قال: «وقد طلب مني أَحدُ أفاضل النَّجديين شرحها فابتدأت به، وأنا أسأل الله تعالى أن يمنّ بإتمامه وطبعه».

٣٠ ــ **شرح حديث أم هانىء في صلاة الضحى**. مخطوط لدى الشيخ زهير الشاويش.

٣١ ــ **شرح سنن النسائي**. ذكره في «المدخل» ص٤٧٧ و «كفاية المرتقي» ص٥٢.

٣٢ ــ **شرح شهاب الأخبار للقضاعي**. مخطوط. له نسخة بخط مؤلفه سنة ١٣٢٥هـ في المكتبة التيمورية برقم (٥٣١) ويقع في مجلد، وقد جعل المتن بأعلى الصفحات والشرح بأسفلها، وأورد في أوله ترجمة القضاعي وأول الكتاب: «الحمد لله الذي منَّ على المؤمنين...»[1].

(١) انظر فهرس الخزانة التيمورية (٢/ ٢٩٩).

٣٣ ــ شرح نونية ابن القيم. أشار إليه في «المدخل» ص٦١ و «كفاية المرتقي» ص٥٢.

٣٤ ــ الصَّحيح من حديث المعراج. مخطوط لدى الشيخ زهير الشاويش.

٣٥ ــ العقود الدرية في الأجوبة القازانية. ذكره في كتابه «العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية» ص ٧٥، وقد سماه بأكثر من اسم كالمواهب الربانية في الأجوبة عن الأسئلة القازانية، وهو مخطوط يقع في نحو ٥٧ ورقة بخط مصنفه في مكتبة الشيخ زهير الشاويش.

٣٦ ــ العقود الياقوتية في جيد الأسئلة الكويتية. طبعته جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية بالكويت بتحقيق الدكتور عبد الستار أبو غُدة سنة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م. ثُمَّ صورته بعض المطابع في مصر من غير إذن من الجمعية المذكورة!!.

٣٧ ــ الفريدة اللؤلؤية في العقود الياقوتية. طبع مع الكتاب السابق.

٣٨ ــ كفاية المرتقي إلى معرفة فرائض الخرقي. وهو شرح لنظم الصرصري البغدادي في الفرائض التي في مختصر الخرقي. طبع في دمشق سنة ١٣٤٢هـ.

٣٩ ــ الكشف عن حال قصة هاروت وماروت. مخطوط لدى زهير الشاويش.

٤٠ ــ الكواكب الدرية في تاريخ عبد الرحمن اليوسف صدر سورية. طبعت في مطبعة الفيحاء بدمشق سنة ١٣٣٩هـ.

٤١ ــ **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**. طبع ثلاث طبعات: الأولى في إدارة الطباعة المنيرية بعد وفاة مصنفه، والطبعة الثانية في مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠١هـ بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والطبعة الثالثة بتحقيق أسامة الرفاعي. ولم أقف عليها لأعرف مكان الطبع.

٤٢ ــ **مُنادَمَةُ الأَطلالِ ومُسامرةُ الخيال**. طبع في المكتب الإسلامي بتقديم العلاَّمة الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله تعالى وإشراف الشيخ زهير الشاويش الطبعة الأولى في دمشق ١٣٧٩هـ، والطبعة الثانية في بيروت سنة ١٤٠٥هـ.

قلت: وله مختصر لمؤلفه في الظاهرية بدمشق برقم (٤١٠٢) في ٦٢ ورقة، وقد انتهى من تحقيقه الصديق الأستاذ بسام الجابي وهو تحت الطبع.

٤٣ ــ **منتخب النفائس في تهذيب الدارس**. انفرد بذكره معروف زريق في «شعراء من دوما» ص ١٠٣.

٤٤ ــ **المنهل الصافي في شرح الكافي في العروض والقوافي**. ذكره ناشر «الكواكب الدرية» في ضمن مؤلفات ابن بدران، وذكره العلاَّمة محمد بهجة البيطار في مقدمة «منادمة الأطلال» ص (ن)، وقال: «قَرَّظه جدي لوالدتي شقيق جدي لوالدي العلاَّمة الشيخ عبد الرزاق البيطار بعبارات جيدة، أثنى فيها على المؤلف الثناء العاطر».

وقد وقفت على هذا التقريظ في آخر «المنهل الصافي» حيث قال الشيخ عبد الرزاق البيطار: «خير ما بُدِئ به بادئ الكلام وخُتِمَ حمداً لله وصلاة على نبيه سيد الأمم، وعلى آله الناطقين بأفصح لسان، وأصحابه وتابعيهم إلى آخر الزمان.

أما بعد:

فلما كان الشعر محمدة الأدب وملحة علوم العرب، وكان من أحسن ما صُنِّفَ في موازينه وأتم ما أُلِّفَ في معرفةِ بحوره واستخراج كمينه كتاب «الكافي في علمي العروض والقوافي» وقد شَرحه الأديب الكامل، والأريب العَالِم العَامِل عبد القادر أفندي ابن المرحوم الشيخ أحمد بَدْران، فجاء بحمد الله محتوياً على كمال الإتقان منطوياً على أتم المعاني لدى الإمعان، قد أينعت إفادته لكل قاطف وأسفرت رقائِق طلعته عن بدائع اللطائف، فلا ريب أنَّه قد طابق اسمه مسماه ووافق لفظه معناه، فما أرفعه وما أسماه، وتضمن ما ترتاح له النفوس وتبتهج به الدفاتر والطروس من كل فائدة ندر وجودها وبَدَر في أوج الكمال سعودها، فما أحقه بالمديح وأولاه، وما أرق عبارته وأطيب رَيْاه، فالله تعالى المأمول والمسؤول أن يلبسه ثوب النظر إليه بعين القبول، وأن يحفظ مصنفه نائلاً كل مرام، وأن يلحظنا وإياه والمسلمين بحسن الختام.

بقلم الفقير إليه عز شأنه

عبد الرزاق بن حسن البيطار

عفي عنه».

كما أن ابن بدران ذكر تقريظاً في آخر الكتاب المذكور حيث قال: صورة ما كتبه ولدنا القلبي الأديب الفاضل الماهر عبد الحليم بن علي بن سماية المغربي الجزائري، لما قرأ علينا بعضاً من هذا الكتاب ونحن بمدينة الجزائر أعادها الله ملكاً للإسلام آمين:

«بحمد من في مديد انعمامه حصرت بحور الخيرات، وبالصلاة على من بأسباب طويل فضله تربط أوتاد المبرات، شَرُفَتْ كريمتاي بالجولان في بسيط هذا الروض الزاهر، لمؤلفه شيخنا العلاَّمة المشهور بابن بدران سيدي عبد القادر، فما تمالكت أن أجبت سجع حمامه بهذه السجعات، وإن كان تطرُّق مثلي لهذا المقام من الموجعات، لكن العذر من شيم الكرام، مأمول لمن شفه الغرام، فأقول: رأيت هذا الكتاب أحيط بداوئِر الترصيف، ونبذ الحشو وجمع كل ضرب لطيف، وجاد لزحاف الإشكالات فاصلة كبرى، ولفروق الشواهد مجموعاً حوى داره، وما ذاك إلاَّ لأن همة مؤلفه الفاضل سلمت من النفاد والخروج، وتعلقت بحذو الإشباع من قوافي نيرات البروج، فللَّه كلامه الذي له في محافل التعاليق هزج، ولله ما أعطاه صرفاً وما مزج، ولله هو من متأتب بقوس الإصابة، ومتضلع ألبسه العلم جلبابه، وطرزت يد التحقيق إهابه، وغواص على نفائس اللآلىء، وطماح إلى المعالي ولو طرح على العوالي، فنرجو الله تعالى أن يمده بإعانته، ويلحظه في جميع ما أهمه بعين عنايته».

٤٥ ــ موارد الأفهام على سلسبيل «عمدة الأحكام». في مجلدين. قال عنه في كتابه «المدخل» ص٤٧٠ حينما تكلم عن «عمدة

الأحكام» لعبد الغني المقدسي: «... ثُمَّ شرحتُهُ في مجلدين، وسميته «موارد الأفهام على سلسبيل عمدة الأحكام» سائلاً منه تعالى أن ينفع بِهِ من يطالعُهُ بمنِّه وكرمه».

قلت: وهو مخطوط كان يوجد منه المجلد الأول في مكتبة شامل الشاهين الخاصة، ويقع في **٢٤٣** ورقة بخط مصنفه، وقد انتهى منه في العاشر من رمضان المبارك سنة **١٣٣٦**هـ.

أوله: «الحمد لله الذي لا يزال يغرس في هذا الدِّين غرساً يستعمله في طاعته وجعلهم منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم السَّاعة ولاحظهم بعين عنايته فَفَرَضَ لهم من صحيح السُّنة... مقدمات؛ الأولى في ترجمة المصنِّف وهو الإمام الزاهد حافظ الوقت ومحدثه عبد الغني بن عبد الواحد».

وآخره: «فلما رأى ما في وجهه... وجواز رد الهدية لعلة والاعتذار عن ردها تطيباً لقلب المهدي وأن الهدية لا تدخل في الملك إلا بالقبول».

وأما المجلد الثاني فيقع في نحو **٢٠٠** ورقة، وهو في مكتبة الشيخ زهير الشاويش، وقد اطلعت عليه وهو بخط مصنفه أيضاً.

٤٦ ـ نزهَةُ الخاطِر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المُناظِر لابن قدامة. مطبوع في المطبعة السَّلفية بمصر سنة **١٣٤٢**هـ بأمر الملك عبد العزيز بن سعود رحمه الله تعالى.

قال محمد بن سعيد الحَنْبَلِيّ: «هذا سِوَى ما لديَّ من الرسائل

والفتاوى في أصناف العلوم، مِمَّا لو جُمِعَ لبَلَغ مجلدات، وما كان منها ما يقع في كراس وكراسين أضربنا عنه خوف الإطالة»(١).

تـلامـيـذه:

سبق ذِكْرُ أنّ العلاَّمة ابن بدران قد درَّس في الجامع الأموي والمدرسة السُّميساطية، ومدرسة عبد الله باشا العظم، ومن الطبيعي أن يكون له طلاب وتلاميذ، وأبرز من وقفت عليه من طلابه:

١ ــ **العلاَّمة الأديب الشاعر محمد سليم الجندي**. من أعضاء المجمع العلمي بدمشق، توفي سنة ١٣٧٥هـ(٢)، قال عنه الأديب الكبير الشيخ علي الطنطاوي في كتابه «دمشق» ص١٤١: «ما أعرف تحت أديم السماء أعلم منه بالعربية وعلومها»، وقد قرأ على العلاَّمة ابن بدران عدة كتب، قال مخبراً عن نفسه: «وقرأت على الشيخ عبد القادر بدران الدوماني الأصل الدِّمشقي المنشأ والوفاة، وقد قرأت عليه كتاب «التلويح شرح التوضيح» في الأصول لسعد الدِّين التفتازاني، وشرح المختصر في علم المعاني والبديع لسعد الدِّين أيضاً، وشرح شيخ الإِسْلاَم على الخزرجية في العروض والقوافي، وكان يقرأ في المدرسة السُّميساطية»(٣).

وقال أدهم الجندي: «وقد استفاد المجتمع من فضله وعلمه

---

(١) ترجمته في آخر المدخل ص (ج).

(٢) انظر ترجمته في «الأعلام» (٦/١٤٨).

(٣) «تاريخ معرَّة النُّعمان» لسليم الجندي (١/٧، ٨).

وأنجب تلامذة أصبحوا أعلاماً خالدين، وأشهرهم العلاَّمة اللغوي الأستاذ سليم الجندي»[1].

٢ ــ **الشاعر الأديب محمد بن محمود البزم**. الدِّمشقي المولد والوفاة العراقي الأصل، توفي سنة ١٣٧٥هـ. ترجم له الزركلي في «الأعلام» (٧/ ٩١) وأشار إلى أنه أخذ عن ابن بدران.

٣ ــ **فخري بن محمود البارودي**. من رجال السياسة، توفي سنة ١٣٨٦هـ كما في «المستدرك» على «معجم المؤلفين» ص ٥٤٤، وقد نزل عليهم ابن بدران حينما أُخرج من بلده، حيث يقول في كلام له مضى ذكره: «ومنذ ذلك الحين أصبح لي ميل إلى نظم الشعر. وقد ساعدني على ذلك الشيخ عبد القادر بدران... كنت يومئذ طالباً في المدرسة الإعدادية، فأفادني وجوده في دارنا إذْ ساعدني على تعلم اللغة العربية، وكان له فضل كبير بتوجيهي وإرشادي إلى كتب اللغة، ومطالعة كتب الأدب ودواوين الشعر. وقد قرأت عليه مقامات الحريري بأجمعها، فكان لها تأثير في توجيهي نحو الأدب العربي، خلافاً لرفقائي الذين اتجهوا نحو الآداب التركية!!»[2].

٤ ــ **منيف بن راشد اليوسف**. وهو ابن أخ الوزير أمير الحج عبد الرحمن باشا اليوسف، قال العلاَّمة ابن بدران مثنياً عليه: «لم يترك المطالعة، ولم يملّ من تحصيل الفنون، فقد قرأ عليَّ العروض والنحو

---

(١) «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٥).

(٢) «مذكرات البارودي» ص ٣٤، ٣٥.

والصرف وفنون البلاغة، محباً للأدب والأُدباء وجمع الكتب النفيسة»[1].

٥ ـ **العلاَّمة الشيخ محمد صالح العقاد الشافعي**. الذي كان يقال عنه: «الشافعي الصغير» توفي سنة ١٣٩٠هـ وقد أخذ عن العلاَّمة ابن بدران النحو كما في كتاب «علماء دمشق في القرن الرابع عشر» (٢/ ٨٩٤).

٦ ـ **الشيخ عبد الحكيم بن دامنلا محمد الصادق العثماني القازاني**، وقد قرأ عليه كتاب «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني، و«ديوان المتنبي» وهو الذي سأل الشيخ عبد القادر مجموعة من الأسئلة فألف له «الأجوبة القازانية».

٧ ـ **عبد الحليم بن علي بن سماية المغربي الجزائري**، وقد قرأ عليه كتابه «المنهل الصافي» كما ذكر ذلك في آخره.

٨ ـ **العلاَّمة المؤرخ خير الدِّين الزركلي**، صاحب الكتاب المشهور «الأعلام» المتوفى سنة ١٣٩٦هـ، وقد ذكر أنه من تلاميذه معروف زريق في كتابه «شعراء من دوما» ص ١٠٠.

٩ ـ **العلاَّمة المؤرخ الشيخ محمد أحمد دهمان**. وهو من أخص تلاميذ ابن بدران، فقد ترك فيه أبلغ الأثر وزرع فيه محبة العلم والإصلاح، وقد أسس في حياة شيخه المطبعة والمكتبة السلفية بدمشق، حيث طبع بعض مؤلفات شيخه ابن بدران. وترك مؤلفات

---

(١) «الكواكب الدرية» لابن بدران ص ١٠٧.

وتحقيقات عديدة خص بلده دمشق بمزيد منها. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٨هـ(١).

مـرضـه ووفاتـه:

أصيب العلاَّمة ابن بدران ــ رحمه الله تعالى ــ بداء الفالج في آخر أعوامه ــ مما أثر في صحته ــ إلى وفاته رحمه الله، ولنتركه يحدثنا بذلك حيث يقول: «نمت ليلة النِّصف من شوال عام اثنين وأربعين وثلاثمائة بعد الألف في غرفتي في مدرسة عبد الله باشا العظم في دمشق؛ فانتبهت وقت الفجر وإذا بـي أُصبت في رجلي وفي يدي اليمناوين بحيث بطلت حركتهما، فنقلت في اليوم الثاني إلى المستشفى العام بدمشق، المبني بالبرامكة، فكنت فيه كالغريب، وصار مَن كنتُ أُعلمه وأُصَفِّي لَهُ قلبـي كالعدو المُجاهر المحتال، ومن به من النّصارى يعرفون قدري ويلاطفوني أحسن ملاطفة، فكنت أُسلي نفسي بنظم الشعر بعد أن كنت تركته، وأُروض يدي اليُسرى على كتابة ما أنظمه، ولمَّا كان ذلك تذكاراً لِمَا بُليت به قيدته في هذا الديوان؛ ليكون سانحة من السوانح، ويُعلمَ ما كنت ألاقيه من تقلبات الدهر، وهذه طليعة السوانح:

اللَّهِ أَشْكُو الذي قاسيت من أَلَمِ ... ومِنْ هُموم بها زاد الضَّنا ضَرَمِي

قد بِتُّ ليلي في أمن وفي دعةٍ ... وفي صَبَاحيَ لا أمشي على قدمي

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر» (٣/ ٥٣٢ ــ ٥٣٧).

أيقَظتُ طَرْفي ورِجْلي مَسَّها خَدَرٌ وجاوَبَتْها يدي بالضَّعْفِ والوَرَمِ
نِصْفِي اليميـنُ أراهُ لا حـراكَ بِـهِ ولستُ أُظْهِرُ ما أُبديهِ من كَلَمي
مِنْ قَبْلُ كنتُ كسحبانَ بلا مللٍ ومُرهَفَ القَلَمِ المحبوبِ من خَدَمِي
مَكَثْتُ في غُرفتي والوَهْمُ خامَرَني في وحدةٍ عن جميع النَّاس والأُمَمِ
سُكَّانُ مدرستي ثارت مطامِعُهم فأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ للغَدْرِ بالذِّمَمِ
جاءُوا عِجالاً وقالوا لي الوصيةُ قَدْ جاءَتْ بها سُنَن من قَبْلِ أَن تَنَم
غَدْراً ومَكْراً أَتَوا للاسْتِلابِ فما فيهم صديقٌ سوى لِصٍّ ومُجْتَرِمِ
فقلتُ ما لي سوى الأسفار من سبب مَمْلوءَةً بصحيحِ العِلْمِ والحِكَمِ

وقد ذكر في هذه القصيدة حاله في المستشفى، وأحوال المرضى ممن يصيح ــ نسأل الله العافية ــ من شدة الألم ويئن من طول الليل إلى أن مدح الطبيب الذي كان يعالجه فقال:

جَاءَ الطَّبيبُ يَرُومُ الفحْصَ عن مَرَضِي في دِقَّةٍ ولَهيبُ القَلْبِ في ضَرَمِ
أَضْحَى يُلاَطِفُني أَحْلَى مُلاطفةً حَسْنَاءَ تُنْبِـىءُ عن لُطْفٍ وعن شَمَمِ
حُسْني الطبيبُ جزاهُ الله صالحةً وزادَهُ شـرفـاً فـي سـائـرِ الأُمَـمِ
إلى الأكارِمِ ينمى من بني سَبَحٍ[1] لا زالَ مشتهراً في العُرْبِ والعَجَمِ
بَـدْرُ الأَطِبَّـاء فـي بَلْـداتِنـا ولَـه مآثِرٌ من جميلِ الحِلْمِ والشِّيَمِ

(١) هو الدكتور حسني سبح ولد سنة ١٩٠٠م وقد تسنم عدة مناصب والتي منها رئاسة الجامعة السورية، ومن آخرها رئاسة المجمع العلمي العربـي بدمشق، وقد كان يعتبر كبير الأطباء في دمشق الشام، توفي سنة ١٤٠٦هـ. انظر ترجمته في «من هو في سورية» ص ٣٥٥.

إلى أن قال رحمه الله تعالى: «هذا ما جرى به القلم وأنا في حالة المرض الشديد أكتب بيدي الشمال»[١].

وقد مكث في المستشفى نحو ستة أشهر ثُمَّ خرج، كما أنه أُصيب في أواخر أعوامه بضعف في بصره من كثرة الكتابة رحمه الله تعالى.

توفي العلاَّمة ابن بدران بمدينة دمشق، في شهر ربيع الثاني عام ست وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق ٢٥/٩/١٩٢٧م وذلك في مستشفى الغرباء[٢]، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق[٣].

قال محمد تقيّ الدِّين الحصني نقلاً عن أحد أدباء دمشق: «وإنه ليؤلمك كثيراً أن تعلم أن هذا الفاضل الراحل قد توفي في مدرسة من مدارس الأوقاف في غرفة حقيرة، وإن الألم ليزداد في نفسك إذ تعلم أن جنازة هذا العَالِم الشيخ ابن بدران لم يمش وراءها أديب أو عالم، ولم يحس بها أحدٌ على الأرجح، تلك هي حالة هذا العَالِم الأديب عاش شريفاً فقيراً ومات كما عاش. انتهى كلامه، أقول ــ أي الحصني ــ: ما ذهب إليه الكاتب الفاضل هو الصواب، والراجح أن وفاته لم تبلغ الناس ليشيع جنازته العَالِم والتاجر والأديب، والذي علمته أنه مات في مستشفى الغرباء»[٤].

---

(١) «تسلية اللبيب» (٨١/ب ــ ٨٢/ب).

(٢) هو المستشفى الذي سبق أن ذكره ابن بدران، وهو المعروف اليوم بالمستشفى الوطني.

(٣) آخر «المدخل» ص (أ)، و «أعلام الأدب والفن» (١/ ٢٢٥).

(٤) «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٣).

رحم الله ابن بدران فقد عاش غريباً، ومات غريباً، فطوبى للغرباء.

رثـــاؤه:

قال محمد بن سعيد الحَنْبَلِيّ: «وبالجملة، فقد كان غرة عصره ونادرة دهره ذا مزايا حميدة لا يمكن استقصاؤها إلاّ بتأليف خاص، رحمه الله رحمة واسعة، وقد رثاه بعض معاصريه بأبيات أثبتناها بتمامها، وهي قوله[1]:

نارُ الجَوَى قدْ سَرَتْ في الجِسْمِ بالسَّقَمِ ... فالدَّمْعُ ما بَيْنَ مَسْجُونٍ ومُنْسَجِمِ
عمَّ الأَسَى وعَلاَ السَّيْلُ الزُّبَى وربا ... وكِدْتُ لولاَ الحَيَا أَصْبُو مِنَ الأَلَمِ
أَيَحْسَبُ الغُمْر أَن العُمْرَ لا نَحْسٌ ... بِهِ فيا قُرْبَ هذا الوَهْمِ[2] لِلْوَهَمِ
يا عَيْنُ جُودي دماً سَحّاً على أَدَمٍ[3] ... وٱسْتَنْزِلِي عِبَراً أَدْهى مِن الدِّيَمِ
لاَمَ العَـذُولُ بـإِلحـاح فَقُلْـتُ لَـهُ ... إِلَيْـكَ عنـي فَلَـوْ أُصِبْـتَ لَـمْ تَلُـمِ
إِنِّي كَفَـانِـيَ مِـن أَمْـرٍ دهمـتُ بِـهِ ... فالحُزْنُ مني ودَائِي غَيْرُ مُنْحَسِمِ
بـاللَّـهِ دَعْنـي أَنُـوحُ هـائِمـاً وأَقُـلْ ... وا لهْفَ نفسي لِفَقْدِ البَدْرِ في الظُّلَمِ
بَحْرُ العُلُومِ بُحُورُ العلم تَغْبِطُهُ ... وٱبْنُ الكَرِيم فَقُلْ ما شِئْتَ من كَرَمِ
لاَحَ ٱسْمُهُ[4] قَمَراً في اللَّحْدِ مُنْخَسِفاً ... حِسّاً ومَعْنى فَحَالُ القَلْبِ في ضَرَمِ

---

(١) آخر «المدخل» ص (ج).

(٢) «الوَهْم» مُسكَّناً الظّن، ومُحركاً: الغَلَط.

(٣) أي جلد الخدَّين.

(٤) أي في لفظة: «البدر» الموافق لِلَقبِهِ في أكثر الحروف.

هُـوَ الَّـذِي تُشْـرِقُ الـدُّنيـا بطلعَتِـهِ ... لا شَمْسُها وأَبو إِسحاقَ ذُو الشِّيَمِ
سَقَى ضَريحَ حِماهُ صَوْبُ مَغْفِرَةٍ ... مِـنَ الإِلَـهِ مُـزيـل الكَـرْبِ والنِّقَـمِ
يا نفْسُ لا تَجْزَعِي مِمَّا دَهَى فَلَكَمْ ... لِلَّـهِ مِـنْ فَـرَجٍ يُشْفِيـكِ مِـنْ أَلَـمِ
فَٱسْتَسْلِمي ودَعِي الأَقْدَارَ جَارِيَةً ... فَأَنْتِ صَائِرَةٌ لا شَكَّ في العدَمِ
وانهى[1] صَلاَةً بِتَسْلِيمٍ يُقَارِنها ... على شَفِيعِ الوَرَى في مَجمَعِ الأُمَمِ

* * *

تلك إلماعة يسيرة وشذرة عبقة من عيون ترجمة هذا الإمام الجليل، الذي بذل نفسه في العلم والتعليم والتصنيف، اللهم أسبل عليه وابلَ مغفرتك ورحمتك آمين.

● ● ●

(١) بإسقاط الهمزة للوزن.

نموذج من خط العلامة ابن بدران من الأجوبة البيروتية

يبدل الله سياتهم حسنات فاذا بدلت السيآت حسنات اين
العذاب المضاعف عليها وقال الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وقال ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فظاهر هذه الايات
يدل على ان من تاب الى الله توبة نصوحا واجتمعت شرائط
التوبة في حقه فانه يقطع بقبول توبته واما الايات التي فيها
عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم وقوله فعسى ان يكونوا من المفلحين
لعلكم تفلحون فانها لا تنافي القطع بالقبول فقد نقل ابن ابي طلحة
عن ابن عباس قال ان عسى من الله واجبة وقال في المصباح
في مختار الصحاح عسى من الله واجب في جميع القران الا قوله
تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله وقال ابو عبيدة عسى في
كلام العرب رجاء ويقين ايضا فجاء في القرآن على احدى لغته
لغتي العرب وهو اليقين وقال في القاموس وعسى للشك
واليقين وقال ابن الاثير في النهاية ولعل من الله تحقيق والله تعالى
قاله وكتبه عبد القادر بدران

تقريظ كتاب «النقد والبيان في دفع أوهام خزيران»، تأليف محمد كامل القصاب ومحمد عز الدِّين القسام، وقد ذكروا في هذا الكتاب مجموعة من العلماء الذين قرظوه ومنهم العلاَّمة عبد القادر ابن بدران، وإليك نص هذا التقريظ:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يا من حفظت هذا الدِّين من التغيير والتبديل، وأنزلت كتاباً لا ريب فيه هدى للمتقين، يهديهم سواء السبيل يدعو إلى التوحيد الخالص من تأويل المبتدعين ماحياً شبه المضلين وآثار المشركين، وأُصلي على النبي المختار من أشرف العناصر وعلى آله وصحبه المحرزين قصب السبق في المفاخر.

أما بعد:

فإن الله أكمل لنا هذا الدِّين وأتمم لنا نعمته علينا وتركنا رسوله ﷺ على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء، وأخبرنا وهو الصادق الأمين أنه: «لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من

خالفها»، وأن الله لا يزال يغرس في هذا الدِّين غرساً يستعملهم في طاعته، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. فكلما نشأت بدعة قيض الله لها من يزلزل أركانها ويهدم بنيانها ويشردها عن أوطانها ويجيء بالحق عَلَى الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ألا إن حزب البدع وزخرفة أهلها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، يلجأ إلى ما لفقه الملفقون من القول وزخرفه؛ الذين اتبعوا الهوى إرضاءً للعوام وتضليلاً لهم، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، وأنصار الحق ينادونهم في كلِّ زمان ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم في الأرض، ارجعوا إلى ما كان عليه أصحاب نبيكم الصادق والخلفاء الراشدون.

إن الأنبياء جاؤوا بالبيان الكافي وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج واحد لم يختلف فجاء الشيطان يحسن للناس ما كان عليه أهل الجاهلية، وما كان طريقاً للوصول إليه، و «من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه» كما قال سيد المرسلين ﷺ.

هذا وقد تصفحت هذه الرسالة وأنعمت النظر فيها فوجدتها مؤيدة بالبراهين الجلية، والأدلة السنية، وأن الخصم يحوم حول إرضاء العوام لأمرٍ ما أو ليقال، على أن الحق أحق أن يتبع، ولقد تذكرت ما رواه محمد بن إسحاق بسنده إلى ابن عباس قال: والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني فقيل كيف؟ فقال:

والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أوْ مغرب، فيحملها الرجل إليّ فإذا انتهت إليّ قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها.

وقال ابن مسعود: الاقتصاد في السنة خير من اجتهاد في البدعة.

فهنيئاً لصاحبي الرسالة، لقد اقتفيا أثر ابن عباس وفاها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نصرة للسُّنة. لم يُصَانعا عواماً ولم يخشيا في دين الله ملاماً، ولم يغترا بضخامة قول فلان وفلان، ولا بما أَوله المؤولون أوْ أسسه على غير منهاج السلف المتطرفون، بل أتيا بها على منهاج الكتاب والسُّنة، وإن كرههما المبتدعون ونفر عن مسالكهما الجامدون، صاحا بالحق في قوم يعتقدون أَن ما عليه قومهم في زيهم وعاداتهم هو السنة، وأن من هو عَلَى غير سيرتهم هو المبتدع يقلبون الحق باطلاً والباطل حقاً، ومنتهى حجتهم إنَّا وجدنا آباءنا على أمة وإنَّا على آثارهم مقتدون، والحق في كل زمان لا يعدم ناصراً، وللباطل جولة، ثُمَّ يضمحل، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، فجزى الله مؤلفي هذه الرسالة خيراً وأقر عيون أهل الحق بهما. آمين.

١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤هـ

المتشرف بخدمة الكتاب والسُّنة

عبد القادر بدران

صورة من تقريظ العلّامة الشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار بخطه لكتاب «المنهل الصافي» لابن بدران، محفوظة في مكتبة الشيخ زهير الشاويش

بسم الله الرحمن الرحيم

خير ما بدأ به ذوو الكلام وختم حمد الله وصلاة على نبيه سيد الأمم وعلى آله الناطقين بأفصح لسان وأصحابه وتابعيهم إلى آخر الزمان أما بعد فلما كان الشعر مجدة الأدب وملحة علوم العرب وكان من أحسن ما صنف في موازينه وأتم ما ألف في معرفة بحوره واستخراج كمينه كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي وقد شرحه الأديب الكامل والأريب العالم العامل عبد القادر أفندي ابن المرحوم الشيخ أحمد بدران فجاء بحمد الله محتويا على كمال الإتقان منطويا على أتم المعاني لذوي الأذهان قد اينعت حدائق إفادته للكل قاطف واشرقت رقائق طلعته عن بدائع اللطائف فلا ريب أنه قد طابق اسمه مسماه ووافق لفظه معناه فما أرفعه وما أسماه وتضمن ما ترتاح له النفوس وتبتهج به الدفاتر والطروس من كل فائدة ندر وجودها وبدر في أوج الكمال سعودها فما أحقه بالمدح وأولاه وما أرق عبارته وأطيب رياه فالله تعالى المأمول والمسؤول أن يلبسه ثوب النظر إليه بعين القبول وأنه يحفظ مصنفه نائل كل مرام وأن يحفظنا وإياه والمسلمين بحسن الختام

بقلم الفقير إليه عز شأنه
عبد الرزاق بن حسن البيطار
عفي عنه

المحتويات

الموضوع	الصفحة

● ● ●

٢٠ / ١٨٥ / ٣ / ١٧

من آثار المحقق

١ ـــ كتاب الأوائل، للحافظ أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، المتوفى سنة ٢٨٧هـ، دار الخلفاء الكويت ـــ ١٤٠٥هـ.

٢ ـــ فضل علم السلف على علم الخلف، للحافظ زين الدين عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ـــ لبنان ١٤١٦هـ.

٣ ـــ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ، لابن عباس، للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ـــ لبنان ١٤١٤هـ.

٤ ـــ تفسير سورة الإخلاص، لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار الصميعي، الرياض ١٤١٢هـ.

٥ ـــ تفسير سورة النصر، للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٢هـ.

٦ ـــ زغل العلم للحافظ شمس الدِّين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مكتبة الصحوة الإسلامية الكويت ١٤٠٤هـ.

٧ ــ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي، للحافظ العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤٠٩هـ.

٨ ــ التنقيح في حديث التسبيح (شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمٰن)، للحافظ ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

٩ ــ تحفة الإخباري بترجمة البخاري، للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١٠ ــ كتاب الأربعين، للحسن بن سفيان المتوفى سنة ٣٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت ــ لبنان ١٤١٤هـ.

١١ ــ صفحات في ترجمة الإمام السفاريني، (تأليف) دار البشائر الإسلامية بيروت ــ لبنان ١٤١٣هـ.

١٢ ــ علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان حياته وآثاره، (تأليف) مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٤١٥هـ.

١٣ ــ ثلاث تراجم نفيسة للحافظ الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار ابن الأثير الكويت ١٤١٥هـ.

١٤ ــ الخطب المنبرية، للعلاَّمة عبد الله بن خلف بن دحيان، بيت التمويل الكويتي، الكويت ١٤١٦هـ.

١٥ ـ نوادر مخطوطات علاَّمة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤١٦هـ.

١٦ ـ أخصر المختصرات للبلباني مع حاشيته، لابن بدران دار البشائر الإسلامية بيروت ـ لبنان ١٤١٦هـ.

١٧ ـ مشيخة فخر الدِّين ابن البخاري، المتوفى سنة ٦٩٠هـ، (عناية وفهرسة للأحاديث) الكويت ـ الأمانة العامة للأوقاف ١٤١٦هـ.

١٨ ـ أضواء على الحجج الوقفية الأصلية في الأمانة للأوقاف (إعداد)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٦هـ.

١٩ ـ روضة الأروح، لعبد القادر بن بدران الدمشقي ـ الكويت ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ.

٢٠ ـ درة الغواص في حكم الذّكاة بالرصاص، لابن بدران الدمشقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.